

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1:

رقم التسجيل: ط2:

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص: لسانيات عامة
بعنوان:

أسلوب الالتفات ودلالاته في تماسك النصّ القرآني

إعداد الطلبة:

* هبيرة سارة

* قندوز كتيبة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيساً	جامعة المسيلة		
مشرفاً ومقرراً	جامعة المسيلة	أستاذ مساعد أ	عبد الرحيم بحري
مناقشاً	جامعة المسيلة		

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ / 2018-2019م



شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وُلْدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ١٩ ﴾ (النمل، 19).

وقال: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ٧ ﴾ (إبراهيم، 7).

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

نحمد الله ونشكره على جزيل فضله ونعمه قبل كل شيء، وهو الذي قدرنا ووقفنا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما يُملي علينا الواجب الاعتراف بفضل كلّ الأساتذة الذين درّسونا حتى نصل إلى ما نحن عليه الآن.

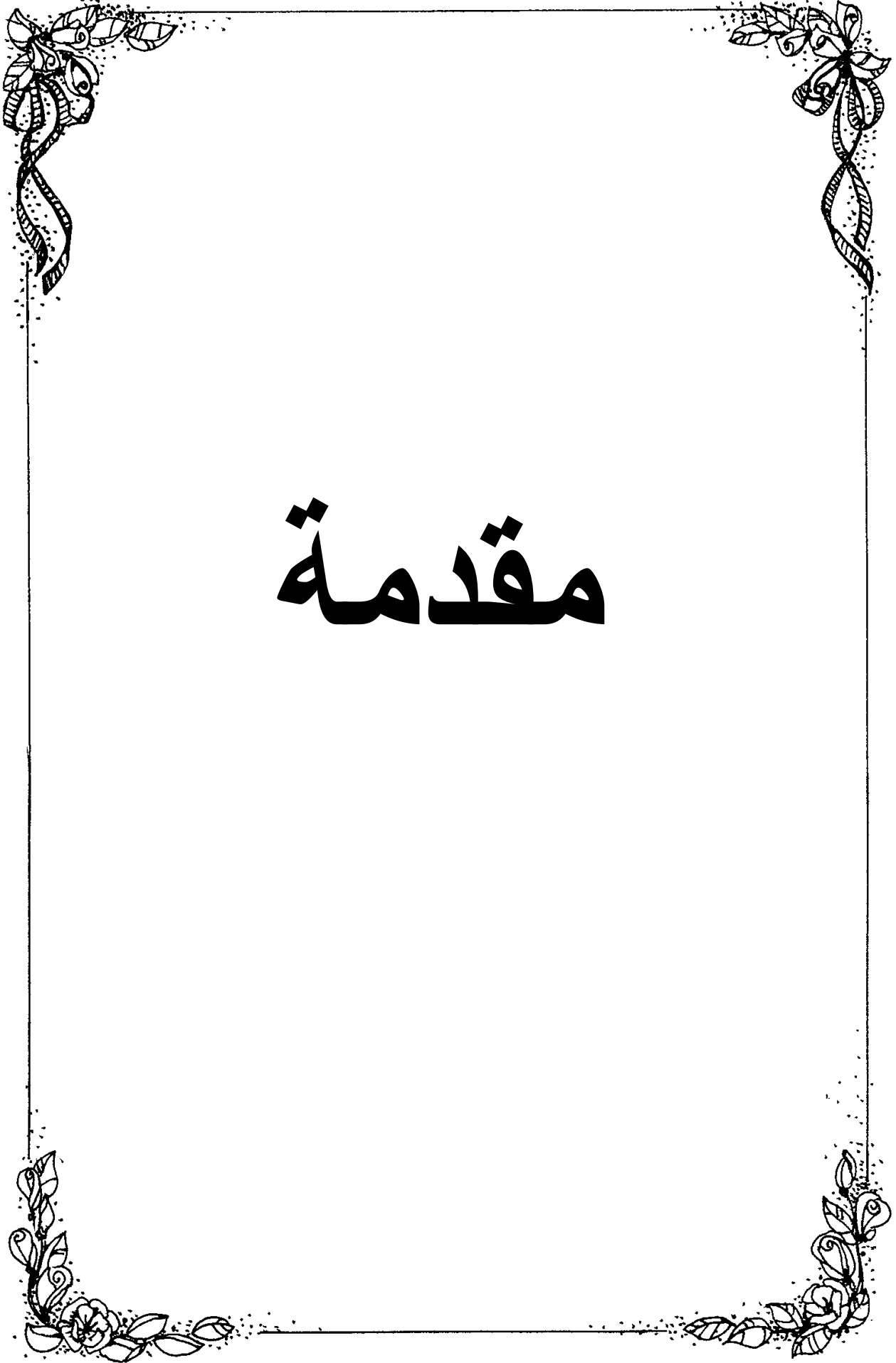
لا يسعني في هذا المقام إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى الأستاذ المشرف: الدكتور/ بحري عبد الرحيم" الذي أفادنا من علمه وتوجيهاته، فنشكره على صبره وسعة صدره وحرصه الدائم على إنجاز هذا العمل.

ولا ننسى أن نشكر أعضاء لجنة التحكيم الذي تفضلوا علينا بمناقشة هذه الأطروحة.

وأخيراً العرفان والتقدير إلى كل من قدم لنا نصيحة، أو أسدى معروفاً في سبيل إنجاز هذا العمل،

فجزاهم الله خير الجزاء في الدارين، الدنيا والآخرة.

الصفحة	الموضوع
-	شكر وعرقان
-	فهرس الموضوعات
أ.ب.ج	مقدمة
33-5	الفصل الأول : مفهوم الالتفات وتماسك النصّ
5	أولاً: ماهية الالتفات وأهميته
5	أ - مفهوم الالتفات
8	ب - صور الالتفات
11	ج - أهمية الالتفات
14	ثانياً: ماهية تماسك النصّ وأهميته
14	أ - مفهوم تماسك النصّ
19	ب - مستويات تماسك النصّ
20	ج - أدوات تماسك النصّ
30	د - أهمية تماسك النصّ
58-35	الفصل الثاني: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب
35	أولاً - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الربع الأول من القرآن الكريم
47	ثانياً - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الربع الثاني من القرآن الكريم
85-60	الفصل الثالث: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة
60	أولاً- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في الربع الأول من القرآن الكريم
70	ثانياً - الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في الربع الثاني من القرآن الكريم
87	خاتمة
90	قائمة المصادر والمراجع
-	ملخص باللغة العربية
-	ملخص باللغة الأجنبية



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة على الهادي الأمين

يعتبر القرآن الكريم مصدراً ينهل منه علماء اللغة العربية في إرساء قواعدها، ولكن مما لا شك فيه أنه يتميز بمنهج خاص في استعمال هذه اللغة، وهذا سِرُّ إعجازه.

لقد انبرى نفر من العلماء في ميادين شتى كان هدفهم الأسمى هو الدفاع عن القرآن الكريم، وحمایته من الأعداء الذين كانوا يبحثون عن مواطن الاختلاف بين علماءه ليشككواهم فيه، ومن خلال تلك الظروف ظهرت الملاحظات البلاغية ممبنة في كتب التفسير اللغوي وكتب تدوين الأدب، ثم كتب النقد والبلاغة العربية. هذه الأخيرة التي تعتبر مخزن علوم اللغة العربية. ومظهر جلالها وجمالها، فلا فضل للكلام إلا بما يحويه من لطائفها ويحمله من خصائصها.

ولعلّ من ألوان البلاغة الالتفات الذي ومنذ البدايات الأولى لفت له نفرٌ من علماء اللغة، ونقاد الأدب ومفسري القرآن الكريم لما فيه من تنشيط السامع بالكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن نظرية لنشاط السامع، وجعل المعنى والأسلوب أكثر إحياءً وجمالاً، والنص أكثر تماسكاً، ونظراً لذلك حاولنا من خلال هذا البحث المعنون ب: أسلوب الالتفات ودلالته في تماسك النصّ القرآني، التطرق إلى أهمية الالتفات في التماسك النصّي في القرآن الكريم، هذا الأخير المعجز بألفاظه ومعانيه، يحوي الكثير من مواضع الالتفات حاولنا التطرّق إلى بعضها.

ولإيفاء هذا الموضوع ولو جزءاً بسيطاً من حقه، حاولنا الإجابة على الإشكالية

التالية:

ما أهمية الالتفات؟ وإلى أي مدى يمكن أن يؤثر في تماسك النصّ القرآني؟

وقد دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع فناعتنا الرّاسخة بأهمية ورغبة منّا في البحث في كتاب الله عزّ وجلّ، وتبيان مدى بلاغته وإعجازه في صورة من صور هذا الإعجاز؛ ألاّ وهو **الالتفاتات**، إضافة إلى ذلك المساهمة ولو بجزء بسيط في إثراء البحوث العلمية بهذا البحث المتواضع.

وقد رسمنا لهذا البحث خطة كانت بدايتها بمقدمة مهّدتنا فيها لموضوعنا، ثم ثلاثة فصول، **الفصل الأول** بعنوان: مفهوم الالتفاتات وتماسك النصّ، و كان لنا فيه وقفة على أهم المفاهيم و الآليات النظرية المتعلقة بالالتفاتات و تماسك النصّ، و إبراز الأهمية البالغة لكلّ منهما، و هو ما يساعد في ولوج موضوع البحث.

وفي **الفصل الثاني** تطرقنا إلى صورة من صور الالتفاتات، ألا وهي الالتفاتات من الغيبة إلى الخطاب، مطبقين هذه الصورة على بعض آيات القرآن الكريم، مقسمينه إلى جزئين: الجزء الأول تناولنا فيه الالتفاتات من الغيبة إلى الخطاب في الربع الأول من القرآن الكريم، والجزء الثاني تناولنا فيه الالتفاتات من الغيبة إلى الخطاب في الربع الثاني من القرآن الكريم.

ثم **الفصل الثالث** كان تطبيقي أيضاً على بعض آي القرآن الكريم، من خلال صورة من صور الالتفاتات، ألا وهو الالتفاتات من الخطاب إلى الغيبة، قسمناه إلى جزئين، تناولنا في الأول الالتفاتات من الخطاب إلى الغيبة في الربع الأول من القرآن الكريم، وفي الجزء الثاني الالتفاتات من الخطاب إلى الغيبة في الربع الثاني من القرآن الكريم.

وفي الأخير ختمنا بحثنا **بخاتمة**، وملخص باللغة العربية واللغة الإنجليزية.

وقد قادتنا طبيعة الموضوع إلى اتباع المنهج الوصفي التحليلي، لأنه الأنسب لتبيان أهمية الالتفاتات في آيات القرآن الكريم.

ولتحقيق أكبر قدر من الفائدة استعنا في إنجاز هذا البحث بمصادر ومراجع جد مهمة من بينها: كتاب لـ "أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري"، بعنوان: الكشاف عن (حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، وكتاب "محمد خطابي" بعنوان لسانيات النص، وكتاب لـ "أبي السعود محمد ابن محمد العمادي" بعنوان: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن)، وأيضا كتب لـ "أبي جعفر محمد بن جرير الطبري" بعنوان: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

وكأي بحث لا بد من وجود صعوبات وعراقيل، كان من أهمها، أن القرآن الكريم معجز بألفاظه ومعانيه وأسلوبه، مما يحتاج إلى مختصين في ذلك. وأيضا صعوبة تداخل المصطلحات والأفكار، كذلك إلى صعوبة تنظيم المعلومات، وكيفية حصرها في خطة متكاملة تُوني الموضوع حقه.

ورغم كثرة الدراسات القديمة والحديثة في هذا الموضوع، إلا أنها تبقى قليلة، وغير جامعة لكل جوانب هذا الموضوع المتشعب.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نوجه الشكر لله عز وجل على توفيقه لنا في إنجاز هذا البحث الأكاديمي، وأيضا موصول إلى الأستاذ المشرف: " عبد الرحيم بحري"، ونرجو أن نكون قد وفقنا ولو بالقليل في إعطاء هذا الموضوع قيمته التي يستحقها.

الفصل الأول :

مفهوم الالتفات وتماسك النصّ:

أولا : ماهية الالتفات و أهميته.

أ - مفهوم الالتفات.

ب - صور الالتفات.

ج - أهمية الالتفات.

ثانيا: ماهية تماسك النصّ و أهميته.

أ - مفهوم تماسك النص.

ب - مستويات تماسك النص.

ج - أدوات تماسك النص.

د - أهمية تماسك النص.

لكي يكون النص أكثر تماسكاً وأكثر جذباً للسامع أو القارئ لا بدّ من وجود مظهر من مظاهر البلاغة، ألا وهو الالتفات؛ الذي كان مستعملاً منذ القدم كمعنى دون الإشارة إلى لفظه، وإنّ تحديد مفهوم التماسك النصّي كمصطلح من مصطلحات اللسانيات النصية، يفرض علينا أولاً- قبل الغوص في معناه الاصطلاحي عند الدارسين واللسانيين - التطرق إلى دلالاته اللغوية مقسمينه إلى شطريه المتكاملين: لفظ (التماسك) ثم بعد ذلك (النصّ)، ثم الربط بينهما، وسنثري أكثر في هذا الموضوع في هذا الفصل.

أولاً: ماهية الالتفات وأهميته

أ - مفهوم الالتفات:

1/ الالتفات لغة: جاء في كتاب الله العزيز " أَجِئْنَا لِتُلْفِتُنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا"¹. قال أبو عبيدة: أي لتصرفنا عنه وتميلنا وتلوينا عنه².

ونجد في المعاجم اللغوية تعريفات كثيرة للالتفات تتفاوت في معنى كلمة لفت ومشتقاتها.

فهناك من يقول: بأن اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللّي وصرف الشّيء عن جهته المستقيمة منه، لفت فلان عن رأيه: صرفته، و(الألفت) الرجل الأعسر وهو قياس الباب: وإمرأة لفتت: لها زوج ولها ولد من غيره فهي تلفت إلى ولدها ومنه الالتفات، وهو أن تعدل بوجهك وكذا التَلَفْتُ³. ومنهم من قال: (لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتاً والتفت أكثر منه، وفي الحديث: (فكانت منى لفته) وهي المرة الواحدة من الالتفات واللفت:

¹ سورة يونس، الآية 78.

² - أبي عبيدة معمر بن المنتبي التميمي، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سركين، (د، ط)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، (د، ت)، ج1، ص 280.

³ - أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، بتحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، (د، ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ت)، ج5، مادة (لفت).

اللي ولفته يلفته لفتاً: لواه على غير جهته، وألفت فلاناً عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات¹.

ومن المجاز لَفْتُهُ عن رأيه: صرفته وفلانا يلفت الكلام لفتاً يرسله على كواهنه لا يبالي كيف جاء، ولفت اللحاء عن العود: قشره² ... ومن معانيه أيضاً المباحة التفسيرية للسلوك الإنساني ومن ذلك حديث الرسول العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تتزوجن لفتوتا) وهي التي لها ولد من زوج آخر، فهي لا تزال تلتفت إليه وتشتغل به عن الزوج³.

2 / الالتفات اصطلاحاً:

كانت أقوال البلاغيين في القديم مضطربة في المفهوم الاصطلاحي للالتفات وسبب ذلك راجع إلى تعريف الالتفات في اللغة ذلك لأنّ مادة "لفت" تدرج تحتها دلالات لغوية كثيرة بعض منها حقيقي والبعض الآخر مجازي، ومن البلاغيين نجد عبد الله بن المعتز يعرف الالتفات اصطلاحاً بأنه (هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر)⁴.

ومعنى ذلك حسب رأيه أن الالتفات يشمل ضربين:

¹ - أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب مج 14، ج2، ط1، دار صادر، بيروت، ص 86.

² - جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ج2، مادة لفت.

³ - أنظر: محمد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة، (د، ط)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1403هـ-1983م، ص 134.

⁴ - عبد الله بن المعتز، البديع، تح وتع: إغناطيوس كراتشفسكي، ط3، دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م، ص 58.

الأول يختص بنقل الضمير من حالة في الكلام إلى حالة أخرى وهذا في قوله (هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة). والثاني يختص بنقل معنى كلام من معنى إلى معنى آخر وقد أطلق عليه "بن المعتز" العنان لمدى اتساع الالتفات واختصاصه بالمضمون دون الشكل، ومفهومه هذا يوسع من دائرة الالتفات ويجعل حصره بالغ الصعوبة، وعلى النقيض من عبد الله المعتز نجد قدامة بن جعفر الذي ضيق من دائرة الالتفات وعرفه بقوله: (ومن نعوت المعاني الالتفات وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدمه فإما أن يذكر سببه أو يحل الشك فيه مثال ذلك قول المعطل أحد بني رهم من هذيل:

تبين صلاة الحرب منا ومنهم* * * * * إذا ما التقينا والمسالم بادن¹

فقوله (المسالم بادن) فهي رجوع للمعنى الذي قدمه في قوله (تبين صلاة الحرب) أي (علامة صلاة الحرب) يكون فيها المسالم بادناً والمحارب ضامراً. من هذين المفهومين يتضح أن هناك فرق بين مفهوم "قدامة بن جعفر" ومفهوم "عبد الله بن المعتز" فهذا الأخير يجعل لنا الالتفات انصرافاً من معنى إلى غيره أما قدامة فيؤكد على أنه رجوع على المعنى نفسه لتأكيد أو إحالة الشك فيه.

ونجد كذلك "أبا هلال العسكري" يجعل الالتفات قائم على ضربين حيث قال: (الالتفات ضربين: فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره)، وهو بهذا الضرب يتفق مع ابن المعتز في تعريفه للالتفات، وهذا بذكره العلاقة الوثيقة بين المعنى الذي يكون فيه المتكلم والمعنى الذي ينصرف إليه.

¹ - أبي الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، (دت)، ص 53.

و(الضرب الآخر أن يكون الشاعر أخذاً في معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن أن رادا يرد قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدمه فأما أن يؤكد أو يذكر سببه أو يزيل الشك عنه)¹ وهذا المفهوم هو نفسه الذي ذكره قدامة، وتوظيفهما لنفس البيت الشعري السابق. وبهذا نقول أن أبا هلال بين لنا بأنه متأثر برأي (عبد الله بن المعتز) في الضرب الأول وإن اختلف معه في التعريف قليلاً، ومتأثراً ب (قدامة بن جعفر) في الضرب الآخر.

إن الاضطراب في المفهوم الاصطلاحي للالتفات أخذ في الزوال مع طلوع القرن السادس الهجري وهذا الاستقرار راجع إلى اتفاق علماء البلاغة على رأي واحد لمفهوم الالتفات على أنه هو (نقل الكلام من الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر)² وهذا الرأي سمي برأي الجمهور.

ومحمود الزمخشري من علماء ذلك القرن يقول (فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم)³، وقصده من ذلك أن التعبير عن الكلام يكون بهذه الطرق الثلاثة: التكلم والخطاب والغيبة بمد التعبير عنه بطريق آخر منها فالكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك الأحسن لنشاط السامع.

ب - صور الالتفات:

تبين لنا أن صور الالتفات ست صور سوف نعرضها بطريقة إجمالية فأول صورة من صور الالتفات عند الجمهور: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، كما في قول الله تعالى:

¹ - أبي هلال العسكري، كتاب الصنائع (الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار حياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1371-1952، ص392.

² - أنظر: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن (حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح وتع: ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ-1998م، ج1، ص 119.

³ - مصدر نفسه، ص 118-119.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (1) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (3) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾¹ (4)، قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الالتفات من الخطاب بعد الغيبة الموجودة في ﴿مالك يوم الدين﴾.

الصورة الثانية من صور الالتفات عند الجمهور: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة كما في قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾²، أنظر: (إِنَّكَ) ثم (إِنَّ اللَّهَ) بدل (إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ)، فقد عبّر هؤلاء القائلون أولاً عن الذات العلية بطريقة الخطاب فقالوا: (إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ)، ثم التفتوا فعبّروا عنها بطريقة الغيبة فقالوا: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ) فهم لم يلتزموا طريقاً واحداً في التعبير، بل التفتوا من طريق الخطاب إلى طريق الغيبة.

ثالث صور الالتفات من الخطاب إلى التكلم كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾³، قوله: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) هذا هو الخطاب، ثم قال: (ثم توبوا إليه إِنَّ رَبِّي) بدل من أن يقول: (إِنَّ رَبَّكُمْ) فأصبح المتحدث عنه في (رَبَّكُمْ) في الضمير في (رَبَّكُمْ) هو نفسه في (رَبِّي) لكن بطريق التكلم، فهنا حدث الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

رابع صورة من صور الالتفات هي: الالتفات من التكلم إلى الخطاب يعني: أن يكون التعبير عن المعنى جاء أولاً بطريقة التكلم، ثم يخالف بالتعبير عن هذا المعنى في التعبير الثاني إلى طريق الخطاب، كما في قوله تعالى -حكاية من حبيب النجار- يخاطب الممتنعين عن عبادة الله من أهل أنطاكية في أول سورة يس: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا

¹ - سورة الفاتحة، الآيات 1 - 4.

² - سورة آل عمران، الآية 9.

³ - سورة هود، الآية 90.

الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾، هؤلاء الرسل هم رسل عيسى عليه السلام²، ذهبوا إلى قرية أنطاكية في شمال الشام، يدعون أهلها بدعوة عيسى عليه السلام فامتنعوا عن الاستجابة لهم واتهموهم بالكذب، وكان في هذه القرية رجل يسمى: (حبيب النجار)، قد آمن بدعوة عيسى عليه السلام، فذهب إلى قومه كي يدعوهم إلى أن لا يمتنعوا عن عبادة الله³.

الصورة الخامسة من صور الالتفات عند الجمهور: الالتفات من الغيبة إلى التكلم كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَدِ مَيْتٍ﴾⁴، (والله) هذا الاسم الظاهر كما قلنا من قبيل الغيبة، ثم يقول: (فَسُقْنَاهُ) بدلا من أن يقول: (فساقه) فهذا التفات من الغيبة إلى التكلم.

الصورة السادسة من صور الالتفات عند الجمهور: الالتفات من التكلم إلى الغيبة، كما في قول الله تعالى في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾⁵، فقد تكلم عن نفسه - سبحانه وتعالى - بـ (إِنَّا) بضمير العظمة للمتكلم: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) هذا تكلم، ثم في الآية الثانية انتقل إلى الغيبة: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ لأن (رب) اسم ظاهر من قبيل الغيبة، ولو جاء الكلام بدون التفات، لقال: (فصل لنا)، لكن: (فصل لربك) فكان انتقالا من التكلم إلى الغيبة⁶.

هذه هي صور الالتفات وهذا عند الجمهور ويوافقهم عليها السكاكي الذي انفرد عنهم بصورة أخرى وهي: أن الالتفات قد يأتي في أول الكلام إذ جاء أول الكلام على خلاف

¹ - سورة يس، الآية 13.

² - إسماعيل الحاج عبد القادر سيوكر، تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم ومقاصده البلاغية والإعجازية، البحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جمهورية السودان، 1428هـ / 2008م، ص 115-116.

³ - المرجع نفسه، ص 115-116.

⁴ - سورة فاطر، الآية 9.

⁵ - سورة الكوثر، الآيات 1 - 2 .

⁶ - إسماعيل الحاج عبد القادر سيوكر، المرجع السابق، ص 118.

الظاهر، وهذه الصورة لم يوافق عليها الجمهور، إذن فالصور الست الماضية: هي التفات عند الجمهور وعند السكاكي.

ج - أهمية الالتفات:

للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفاته، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية¹، ومنها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حبّ التنقلات والسّامة من الاستمرار على منوال واحد، وهذه فائدته العامة²، وأما الفوائد الخاصة فتختلف باختلاف مجاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم³. قال السيوطي: ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله⁴ ومن هذه الفوائد الخاصة⁵ ما يلي:

- 1- قصد تعظيم شأن المخاطب، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴾⁶، فإن التأدب في الغيبة دون الخطاب أعظم، وكذلك ما ذكره المفسرون في سورة الفاتحة من تفصيل وبيان أوجه التعظيم من خلال أسلوب الالتفات في الآيات.
- 2- التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه كقوله تعالى: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾⁷، أصل "الكلام" (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) ولكنه أبرز الكلام

¹ - محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (ت ح) محمد أبو الفضل إبراهيم، (د ط) دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج3، ص 325-326.

² - محمد بن بهادر الزركشي، الإتيان في علوم القرآن، (ت ح) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج2، ص 229.

³ - محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج3، ص 326.

⁴ - محمد بن بهادر الزركشي، الإتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج2، ص 229.

⁵ - محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج3، ص 326-330.

⁶ - سورة الإسراء، الآية 111.

⁷ - سورة يس، الآية 22.

الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم، ويريهم أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه.

3- أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم فيأتي به محافظة على التتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له كقوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾¹، أصل الكلام "إنا مرسلين رحمة منا" ولكنه وضع الظاهر موضع المضمرة للإنداز بأن الربوبية تقتضي الرحمة للمروبيين للقدرة عليهم. و أو لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر أو الإشارة على أن الكتاب إنما هو إليه دون غيره ثم التفت بإعادة الضمير إلى رب الموضوع موضع المضمرة للمعنى المقصود من التتميم المعنى.

4- قصد المبالغة كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾²، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليتعجب منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح لها إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البغي في الأرض بغير الحق ما ينكر ويقبح.

5- قصد الدلالة على الاختصاص كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسَقْتَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾³، فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم لأنه أدخل فيه الاختصاص وأدل عليه، سقنا وأحيينا.

1 - سورة الدخان، الآيات 5 - 6.

2 - سورة يونس، الآية 22.

3 - سورة فاطر، الآية 9.

- 6- قصد الاهتمام كقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾¹، فعدل عن الغيبة في "فقضاهن" و "أوحى"، إلى التكلم في "وزينا السماء" للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا وأنها ليست حفظاً ولا رجوماً فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك لكونه مهماً من مهمّات الاعتقاد ولتكذيب الفرقة المعتقدّة ببطلانه².
- 7- قصد التوبيخ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾³، عدل عن الغيبة إلى الخطاب للدلالة على أن القائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخاً ومنكراً عليه، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور فقال: "لقد جئتم" لأنّ توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له⁴.

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أن النص يُعنى بدراسة أدوات التماسك النصّي، إذ يؤدي الفصل بين مستوياته إلى عدم وضوح النص، ممّا يؤدي إلى عزل أو إسقاط عنصر من عناصر الشكلية أو الدلالية، ويفسّر هذا بوضوح من خلال مصطلح التماسك النصّي، ومع مفهوم الالتفات عند البلاغيين فإننا نخلص إلى أن حقيقة الالتفات مأخوذ من إلتفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يُقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام بخاصة، لأنّه ينتقل فيه من صيغة إلى أخرى، كانتقال من خطابٍ حاضر إلى غائب، أو العكس، أو من فعل إلى مستقبل، أو العكس، أو غير ذلك.

¹ - سورة فصلت، الآية 12.

² - محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج3، ص 326-330.

³ - سورة مريم، الآيات 88-89.

⁴ - محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في القرآن، المرجع السابق، ج3، (ص ن).

ثانياً: مفهوم تماسك النصّ وأهميته

أ - مفهوم تماسك النصّ:

1 - تعريف التماسك:

1/1- التماسك لغة: في لسان العرب لابن منظور ذكر لفظ "التماسك" في مادة "مسك"، حيث قال "... مَسَكَ بِالشَّيْءِ وَأَمَسَكَ بِهِ وَتَمَسَكَ وَاسْتَمَسَكَ وَمَسَكَ، كُلُّهُ احْتَبَسَ ...". وفي التنزيل: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ (...﴾¹، أي يؤمنون به ويحكمون بما فيه [يقول] الجوهري: أَمَسَكَتُ بِالشَّيْءِ وَتَمَسَكَتُ بِهِ وَاسْتَمَسَكَتُ بِهِ وَامْتَسَكَتُ. كُلُّهُ بِمَعْنَى اعْتَصَمْتُ وَكَذَلِكَ مَسَكَتُ بِهِ تَمَسِكاً²، فالتماسك في اللغة -إذا- هو كلّ ما دل على حبس شيء بآخر أو اعتصامه به.

2/1- التماسك اصطلاحاً: تُعرّف اللسانيات النصية عند كل من "جورج يول" و "جون براون" بكونها: " فرعا من فروع اللسانيات، تعني بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه، ومحتواه الإبلاغي (التواصلية)³، ويشغل هذا العلم على مجموعة من المصطلحات التي يمثل كل واحد منها جانبا من جوانبه، كما تتفاوت درجة الأهمية في تناوله لهذه المصطلحات بالدراسة والتحليل، ولعل أهم المصطلحات هذا العلم، مصطلح (التماسك النصي)، الذي نال اهتماما فائقا من طرف علماء النصية حتى أننا نجده عند بعضهم عنواناً لكتاب بأكمله مثل كتاب "رقية حسن" و"هاليدي" والمُعْتُون بـ: (cohesion in

¹ - سورة الأعراف، الآية 170.

² - أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب مج 14، ج3، ط1، دار صادر، بيروت، ص 74.

³ - ج.ب براون، ج. يول، تحليل الخطاب، تر وت: محمد الزليطيني ومنير التركي، (د.ط)، دار النشر العلمي والمطابع، الرياض، 1997م، ص 30.

(English)؛ حيث أكدا فيه على هذا المصطلح وأدواته الإجرائية إلى درجة تجعلنا نقول أو نعتقد أن النص ما هو إلا تماصكاً¹.

3/1- النص لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور ذُكِرَ هذا اللفظ في مادة "نصص" بمعنى الرفع وجعل الشيء بعضه على بعض، يقول ابن منظور: "النصُّ رَفْعُ الشَّيْءِ، نَصَّ الحَدِيثَ يُنْصُهُ نَصًّا: رَفَعَهُ وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ فَقَدْ نَصَّ وَقَالَ عمر بن دينار: ما رأيتُ رجلاً أنْصُ للحديث من الزهري أي أَرْفَعُ لَهُ أو اسند... ومن قولهم نصصت المناع إذا جعلت بعضه على بعض وكلُّ شيءٍ أظهر فقد نُصِّ..."²، فالنص إذن في اللغة هو الذي يعنى بجعل الشيء متماسك مع بعضه البعض كما يأخذ بالعموم معنى الرفع، والنص كذلك هو علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدال ووجه المدلول. ويتوفر في مصطلح (نص) في العربية وكذلك في مقابلة في اللغات الأعجمية text معنى (النسيج)، (اللسان، مادة نص و encyclopedia universalis مادة text). فالنص نسيج من الكلمات يترايط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح (النص).

وقد قامت علوم عديدة ومناهج كثيرة للبحث في هذا الترابط، وتعددت هذه العلوم منذ أقدم العصور وتقاطعت مناهجها بحكم التقائها في موضوع بحث واحد هو (النص)، ثم تفردت به اللسانيات في زمن متأخر جداً بالقياس إلى قدم المعارف البشرية وهذا التفرّد نفسه مرّ بمراحل عديدة، عند كل واحد منها يقوم حد بين تلك العلوم المشتركة في النص³ وهذا

¹ - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1421هـ/2000م، ج1، ص 93.

² - ابن منظور، لسان العرب، تح: مجموعة الأساتذة، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م، ج7، ص 44-42.

³ - الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993م، ص 12.

يعني أن النص يحمل معنى النسيج وأن الكلام يكون نصاً إذا كان فيه نسيج، فهما تقريباً يلتقيان في نفس المهام وهذا دليل أن كلاهما واحد.

4/1- النص اصطلاحاً:

نظراً لتعدد تعاريف لمفهوم النص، وتعدد مضامينه صعب إيجاد تعريف له في الدراسات الحديثة، فكل من العلماء لديه تعريف به، " فالنص" يتمتع بالتنظيم الفريد وهذا ما يميزه عن "اللانص" ومن بين التعريفات لمفهوم النص نجد الأزهر الزناد يقول: "النص مثل كل تعريف أمر صعب لتعدد معايير هذا التعريف ومداخله ومنطقاته وتعدد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوفر فيها نطلق عليه اسم "النص"¹ أي تحديد مفهوم النص ليس أمراً هيناً وهذا يتطلب تعاريف كثيرة لمفهوم النص.

يذهب برينكر مثلاً في تحديده للنص إلى أنه تتابع مترابط في الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبياً². يبين أن النص هو تتابع مترابط من الجمل وهذا يعني أن النص يتم توضيحه بالجمل وكل منها يرمز للآخر.

كما عرّف صلاح فضل (النص جهاز غير لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيراً إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمنتزعة منها، والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية، مما يعني أمرين:

¹ - الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، المرجع السابق، ص 11.

² - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1997م، ص 103.

1- علاقة باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع (عن طريق التفكيك وإعادة البناء)

2- يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى؛ أي عملية (تناص)...¹

وهذا يعني أن النص رصيد من الألفاظ تمكّنا من التواصل داخل الكلمات فهو عملية تنتج لنا علاقة باللغة وعلاقة استبدال مع النصوص الأخرى.

لمفهوم التماسك ارتباطاً وثيقاً وعضوياً بـ (النص)، حيث لا يمكن أن نقول عن النصّ أنه حقّق نصّيته إذ لم يكن فيه تماسك فإذ لم يكن النص متماسكاً يصبح كالجسم بلا روح، لذا لا بد من التماسك في أي نص ذلك لأن التماسك هو الذي يربط لنا الجملة السابقة بالجملة اللاحقة.

والواقع أنّ الثقافة العربية لم تكن بمنأى عن مفهوم التماسك، بيد أن المصطلحات المستخدمة فيها والدالة على التماسك تفتقر لبعض التحرير، إذ لم تكن مستقرة استقرار المصطلحات المعروفة. فقد ورد مصطلح التماسك في لسان العرب في ثلاثة معانٍ: "الاحتباس، والاعتدال، والارتباط، وفي صفته -صلى الله عليه وسلم- بادنّ متماسكاً أراد أنه مع بدانته متماسك اللحم، أي أنه معتدل الخلق كأنه أعضاءه يمسك بعضها البعض"²، ولم ترد الإشارة في المعاجم اللغوية إلى ارتباط هذا الجذر بالنص اللغوي سواءً كان منطوقاً أو مكتوباً، بل إنّ مجاز استعماله مرتبط بالإنسان ففي أساس ومجاز استعماله مرتبط بالإنسان، ففي أساس البلاغة للزمخشري نجد "أمسكت، واستمسكت، وتماسكت أن أقع على

¹ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، (د،ط)، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1992، ص 211، 212.

² - ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، مادة مسك.

الدابة، وغيرها... وما به تماسك إذ لم يكن فيه خير¹، غير أن هذا لا يعني إهمال النظرية العربية لمبدأ تماسك النصوص، وارتباط أجزاءها مكونة كلاً متكاملًا.

فقد اهتم علماء العربية بقضية التماسك وليس أدل على ذلك استعمالهم المصطلحات الدالة عليه كمصطلح (التعليق أو التعلق) و(السبك) و(الانسجام) و(الاتساق) و(النظم) و(الضم) وغيرها. غير أن ورود تلك المصطلحات كان محصوراً بين كتب النقد والبلاغة. وللتدليل على حاجة بعض المصطلحات العربية المتعلقة بالتماسك إلى التحرير، ناقش ما ورد في مصطلح التعلق إذ ورد هذا المصطلح عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، فقد أطلق على التماسك مصطلح (التعليق) أو (التعلق) وجعله من أهم سيمات النظم عندما قال: "تعليق الكلام لبعضه ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض...، كتعلق اسمٍ باسم، واسمٍ بفعل..."².

وهذا التعلق والارتباط الذي تحدث عنه الجرجاني، يُفسره استيتية بقوله: "هو الذي ينشئ العلاقات التي تجعل الكلام متضاماً بعضه إلى بعض، دلالةً وتركيباً، وهذا الذي يفسر اختيار ألفاظ التراكيب لأداء المعاني المختلفة، وهو أول وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وأولاً لها بالنظر في رأي العرب الذين كان نظم الكلام ويأخذ بمجامع ألبابهم، ويستولي على عقولهم، فساق لهم القرآن دروب من النظم لم يعهدوا بدقتها كلاماً، ولم يعرفوا في مثل /انتظام نسقها انتظاماً"³ وبذلك يبين استيتية وجوه نظم الكلام وتعلق بعضه ببعض، وكيفية اختيار الألفاظ المناسبة للمعنى المراد توصيله، وكيفية التعبير عنه بدقة متناهية، كما يبين

1 - أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ص 213.

2 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ت ح) محمد عبد المنعم حقايب، ط1، مكتبة القاهرة، 1983م، ص 46.

3 - سمير شريف إستيتية، رياض القرآن، تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي التربوي، (د.ط)، عالم الكتب الحديث - الأردن - إربد، 1426هـ/2005م، ص 07. (نقلا عن: ناصر محمود صالح النواصرة، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق (سورة الأنعام أنموذجاً)، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، الأردن، 2009، ص 43).

كيفية ترتيب الكلام وفق نسق تركيبى محدّد بأدوات ووسائل تتم عن فهم عميق بمستويات اللّغة المختلفة¹، فلا يعقل في رأي الجرجاني، أن ينطق المتكلم بالألفاظ والمعاني بعضها في أثر بعضٍ من غير أن يتعلق المتأخّر منها بالمتقدّم، أو المتقدّم منها بالمتأخّر، والتعليق الذي يربط الجملة بالأخرى تعليق نابع من المعنى لا من اللفظ²، وهو يتخطى البحث في النظم إلى إيضاح العلاقات التي تربط الجمل بعضها ببعض، فتجاوز النحو التقليدي الذي عدّ الجملة مستقلةً عمّا سواها من الجمل، وتطرق إلى قواعد التماسك النحوي، ومنها العطف، والإحالة، والتقديم، والربط بلام التعريف، والاسم الموصول، والتكرار، والحذف، والاستئناف، وهي قواعد أشار إليها المحدثون ومنهم رقية حسن وهالدي، و فان دايك ولغويون آخرون، مما يؤكد صحة النظرية التي انطلقت منها الدراسة، فنلاحظ أن عبد القاهر الجرجاني رائد في الكشف عن القواعد التي تؤدي إلى تماسك النصوص وتعلق الجمل ببعضها البعض³. فالأفكار التي يقدمها عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز تقف اليوم شامخة بين أحدث النظريات في علم اللغة الحديث، كلّما أعاد الدّارس قراءته، وجد فيه جديداً.

ب - مستويات تماسك النصّ

تحدّث النصّيون عن مستويات تماسك النصّ، المعجمي والنحوي، والدلالي، والتداولي وبيّنوا دور كلّ مستوى من هذه المستويات في تحقيق نصية النصّ، غير أن العلاقة بين هذه المستويات علاقة عضوية، فلا يمكن فصل أحدها عن الآخر، لأن النص بوصفه وحدة لغوية ينبغي النظر لهذه المستويات السابقة مجتمعة لتحقيق نصيته، فالعلاقات اللغوية في النص تولد دلالات مختلفة، ترتبط كل علاقة بسياقها الذي ترد فيه، وقد بيّن الخطابي في

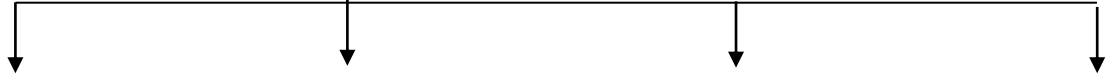
¹ - سمير شريف إستسنية، رياض القرآن، المرجع السابق، ص 17 (نقلا عن: ناصر محمود صالح النواصرة، المرجع السابق، ص 44).

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص 69.

³ - المرجع نفسه، ص 124.

كتابه لسانيات النصّ، الوسائل والعلاقات التي ينسجم بها النصّ وفق نظر المفسرين، والمصنفين في علوم القرآن، وقسمها إلى أربعة مستويات وصفية على النحو الآتي¹:

مستويات التماسك النصي



المستوى النحوي:	المستوى المعجمي:	المستوى الدلالي:	المستوى التداولي
- الإحالة	- التكرار	- التأكيد	- السياق وخصائص
- أدوات المقارنة	- المصاحبة اللغوية	- ترتيب وتنظيم الخطاب	- المعرفة السابقة
- العطف	- وتتمثل في:	- العلاقات وتشمل:	
- الحذف	- التضاد	1- الإجمال والتفصيل	
- الاستبدال	- الترادف	2- العموم والخصوص	
	- الكلية والجزئية	3- البيان والتفسير	

أما "الفقي" فقد صنف الإحالة والحذف تحت المستويين النحوي والدلالي وصنف التكرار تحت المستوى المعجمي والنحوي، والمناسبة تحت المستوى الدلالي². فقد بيّن دور كل مستوى من هذه المستويات في تحقيق نصية النصّ، غير أنّ العلاقة بين هذه المستويات علاقة عضوية فلا يمكن فصل أحدها عن الآخر، لأنّ النصّ بوصفه وحدة لغوية ينبغي النظر لهذه المستويات السابقة مجتمعة لتحقيق نصيته.

ج - أدوات تماسك النصّ:

وأقوال علماء النصّ حول الأدوات التي تحقق التماسك النصّي متعددة، غير أنّ هناك أدوات مشتركة بينهم، وهذا الاشتراك ليس إلّا إبرازاً لأهميتها، وهي الأدوات الرئيسية للتماسك النصّي، وهذا يدفعنا إلى تمثّل دور هذه الأدوات في تحقيق التماسك النصّي، لا تقول أنّ

1 - الخطابي محمد، لسانيات النصّ، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991م، ص 205، 209، 210.

2 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي، بين النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ص 64.

النصّ القرآني غير متماسك تنتزه قول الله عن ذلك، ولكن نريد أن نبرهن كيفية إسهام تلك الأدوات في تحقيق نصيّة القرآن المعجز كنموذج يُحتذى به، لأنّ هذا التماسك نوع من الإعجاز القرآني فقد جعل السيوطي التماسك أو الإلتئام أحد وجوه الإعجاز القرآني "فالوجه الثالث من وجوه إعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته... والوجه الرابع مناسبة آياته وصوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة مُنسقة المعاني منتظمة المباني"¹.

قد يبيّن الفقي في كتابه علم اللغة النصي أنّ أدوات التماسك كثيرة ومتنوعة بين الخارجية والداخلية، وبين الدلالية والشكلية والمشاركة بينهم².

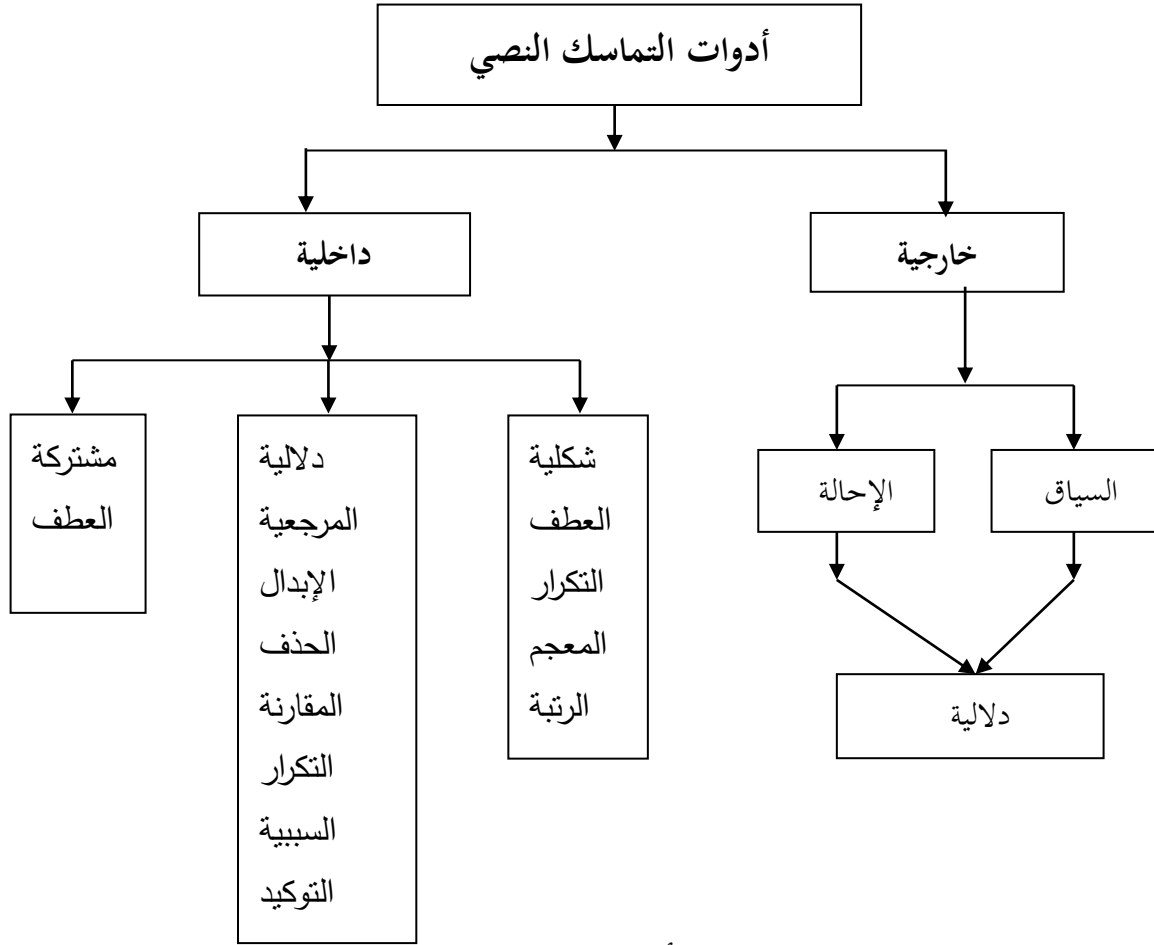
يبين الفقي أنّ هذه الأدوات شرط ضروري في أيّ نصّ حتى تتحقق نصيّته، وإلاّ تصبح جُملاً متجاوزةً لا روح فيها³.

¹ - أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح: أحمد

شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (1400هـ/1988م)، ج1، ص23، ص43.

² - أنظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي (بين النظرية والتطبيق)، المرجع السابق، ص119.

³ - المرجع نفسه، ص118.



وستنطرق إلى شرح بعض من هذه الأدوات:

1 - الإحالة: وهي قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء الخطاب، وتقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر¹، وتكون آلية الربط من خلال الإحالات، بمعرفة موضع الإحالة وربط أجزاء النص ببعضها البعض، وإرجاع الإحالات على ما تحيل عليه داخل النص، وبذلك تعد الإحالة أهم عناصر التماسك الشكلي التي تربط أجزاء النص، وقد قسم النصّانيون الإحالة قسمين:

1 - إحالة نصية (داخلية): وهذه إما إحالة قبلية أو بعدية.

¹ - الأزهر الزناد، نسيج النص، المرجع السابق، ص 118.

- الإحالة القبليّة: وهي التي يعود العنصر الإحالي فيها على عنصر سابق مذكور في النص، ويتمثل أكثرها في ضمائر الغائب في شتى صورها أفراد وتثنية وجمعا، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾¹، فضمير "الهاء" في "إنّه" أحال إحالة قبليّة إلى لفظ الجلالة الله.

- الإحالة البعديّة: وهي عودة العنصر الإحالي إلى مذكور بعده ومنه في العربيّة ضمير الشأن نحو قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾²، فالضمير "هو" أحال إحالة بعديّة للفظ "الله"، ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾³، أحال ضمير الشأن "الهاء" في "أنّه" إحالة بعديّة إلى لاحق هو "عبد الله" وهذه الإحالات الداخليّة بأنواعها تسهم في تماسك النصّ وبقدر ما يكون المدى في الإحالة داخل النصّ قصيرا تكون الإحالة منضبطة وأكثر إسهاما في ترابطه.

2 - إحالة مقامية: "وتعود فيه الكنائيات لغير مذكور، على أمور تستتبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النصّ أو الخطاب"⁴، وتعتمد الإحالة المقامية على سياق الموقف وتتمثل في ضمير المتكلم وضمير المخاطب اللذين يتطلب استعمالهما معرفة سابقة بالهوية بالنسبة لطرفي الاتصال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾⁵، فالضمير "نا" في "إن" يميل إلى لفظ الجلالة (الله) وهو المرسل، وضمير المخاطب (ك) في (أعطيناك) يحيل على الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو المتلقي.

1 - سورة الإسراء، الآية 96.

2 - سورة الإخلاص، الآية 1.

3 - سورة الجن، الآية 19.

4 - روبرت دي بوجرندي، النص والخطاب والإجراء، تح: تمام حسان، ط1، عالم الكتب القاهرة، مصر، (1418هـ/1998م)، ص 332.

5 - سورة الكوثر، الآية 1.

2 - الحذف:

يعد الحذف من الوسائل التي تسهم في تماسك النص كونه "علاقة تتم داخل النص، كما يمثل العنصر المفترض فيه ذو علاقة قبلية أي العنصر المفترض يحيل إلى عنصر مذكور سابقاً"¹، وقد أطلق عليه بعضهم "الإضمار بلزوم أن ترد البنية بتمامها قبل ورود البنية المضمرة"²، نحو قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾³، هنا يستلزم فهم النص أن يتم المسند إليه في التركيب الثاني وهو "رسوله" بالمسند من التركيب الأول وهو "بريء من المشركين" ويكون بالإمكان استرجاع البنية الكاملة في مثل هذه الحالات⁴، وهذا يعني أنه لفهم النص لابد أن يكون هناك مسند ومسند إليه في التركيب الكلامي لإتمام المعنى.

وقد ترجم تمام حسان عملية الحذف عند روبرت دي بوجيراند بأنه الاعتماد بالمبنى العدمي، أي أن البنيات السطحية في النصوص غير مكتملة ... ففي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾⁵، وفي هذه الآية لا مفر من فهم "شهد الملائكة وشهد أولو العلم" بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁶، لولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى... فالنص وما يحيط به من عالم العقيدة والخطاب الديني تحول دون ذلك الفهم الخاطئ⁷. وهذا مؤداه أن الحذف ليس أداة تسهم في تماسك النص على المستوى السطحي للنص وحسب، وإنما

1 - الخطابي محمد، لسانيات النص، المرجع السابق، ص 21.

2 - أبو غزالة إلهام وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص 101.

3 - سورة التوبة، الآية 3.

4 - أبو غزالة إلهام وآخرون المرجع السابق، ص 101.

5 - سورة آل عمران، الآية 18.

6 - سورة آل عمران، الآية 18.

7 - روبرت دي بوجيرند، النص والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص 34، 35.

نجده عنصر دلاليًا يسهم إلى حدّ كبير في انسجام النص، من حيث أنه يستند إلى مطالب الموقف وما يتوقعه السامع وما يملكه من ثقافة خاصة عن النص.

3 - الاستبدال

يعدّ ركيزةً مهمةً في بناء النص، إذ يعرف الاستبدال بأنه "عملية تتم داخل النص وتقوم على تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وتتم العلاقة هنا في المستوى النحوي أو المعجمي سواء بين الكلمات أو العبارات"¹، وهذا يعني أن الاستبدال هو عملية تعويض عنصر بعنصر آخر في النص وأن العلاقات تتم في المستويين نحوي والمعجمي بواسطة الكلمات والعبارات.

نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَكِنَ ذُرِّيَّتَهُ ۖ إِنَّ قَلِيلًا ۖ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ۖ ٦٣ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۖ ٦٤﴾².

فقوله تعالى: " لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا " الاسم الموصول وصلته استبدال من آدم، والشيطان استبدال من إبليس.

وعلاقة الاستبدال تحتاج من القارئ قدرة لمعرفة العلاقة بين المستبدل والمستبدل منه فهو " لا يحد لمجرد تعويض صيغة محيلة إلى الوراثة سابقة لها، بل لا بد للاستبدال من أن يتم تحت شرط التساوي في الوظيفة النظمية"³.

¹ - خطابي محمد، لسانيات النص، المرجع السابق، ص 19.

² - سورة الإسراء، الآيات 61 - 64.

³ - ج.ب براون وج. بول، تحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 243.

بمعنى أن الاستبدال يسهم في تماسك النص بأن يضمن علاقة الإحالة إلى عنصر سابق، وهذا بدوره يضمن استمرارية هذا العنصر في فضاء النص، ويشترك الاستبدال من حيث العلاقة بالإحالة بأنها تحيل إلى عنصر سابق، وهذا بدوره يضمن استمرارية هذا العنصر في فضاء النص، ويشترك الاستبدال من حيث العلاقة بالإحالة بأنه تحيل إلى عنصر سابق، غير أن هناك فرق بينهما، فالإحالة تقع ضمن "علاقة تطابق بين المحيل والمحال إليه، أما الاستبدال فهو علاقة تقابل تقضي إعادة التحديد والاستبعاد"¹، وهذا يعني أن كل من الإحالة والاستبدال لهما تقريب نفس الدور في تحقيق تماسك للنص في أي عنصر من عناصره.

4 - الوصل:

"هو الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"² فهذا يقتضي أن النص بوصفه كلمات وجُملا متتابعة يتطلب روابط تصل هذه الكلمات والجمل بعضها ببعض لتشكل نسيجا في المستوى السطحي.

ويتمثل الوصل بأدوات نحوية متنوعة تصنف حسب المعاني والعلاقات التي تؤديها داخل النص، لهذا صنفنا أدوات الوصل إلى أربعة أقسام³.

1 - **الوصل الإضافي:** ويتم باستخدام أدوات مثل "الواو" و "أو" و "ثم" ويندرج كذلك ضمن الوصل الإضافي علاقات أخرى مثل، التماثل الدلالي ... بواسطة تعابير من نوع، بالمثل وأعني، وكذلك، فضلاً عن ذلك.

¹ - خطابي محمد، لسانيات النص، المرجع السابق، ص 21.

² - المرجع نفسه، ص 23.

³ - المرجع نفسه، ص 23.

- 2 - **الوصل العكسي:** ويعني عكس ما هو متوقع، وهو في العربية تعبر عنه الأدوات (بل)، (لكن)، (بيد أن)، غير أن... وقد أطلق عليها بعضهم "إستدراك"¹ وبعضهم سماه (وصل النقيض) إذ يربط بين شيئين لهما نفس المكانة ولكنهما يبدوان متدافعين أو غير متسقين في عالم النص². أي أن الوصل العكسي هو ترابط بين أجزاء النص لتنسيقه.
- 3 - **الوصل السببي:** ويعبر عن علاقات منطقية لا تعتمد على أداة ربط بين عناصر النص، ويطلق عليه أيضا "الربط الخطي المنطقي، وهو الربط الذي يعتمد نوع العلاقة في الجمع بين عنصرين متتابعين وهذه العلاقة أساسها السببية"³ كالنتيجة والسبب والشرط.
- 4 - **الربط الزمني:** ويجسد علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنياً⁴، وتعتمد الأزمنة المتوفرة في عالم الخطاب وتدل عليها الأفعال التامة والناقصة وكذلك ظروف الزمان وبعض البنى التركيبية الأخرى في الجملة ولكن الأفعال تبقى أوفر تلك الوسائل دقة واستعمالاً⁵.
- 5 - **التكرار:**

"وهو شكل من أشكال الاتساق يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف"⁶، ويقوم التكرار على تقوية معاني المفردات في النص وتكثيفها ضمن سلسلة مترابطة والمثال⁷ الآتي يوضح حالات التكرار في النص.

شرعتُ في الصعود إلى القمة (الصعود، التسلق، الشيء، [هو]) سهل للغاية.

1 - روبرت دي بوجزند، المصدر السابق، ص 246.

2 - أبو غزالة إلهام وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، المرجع السابق، ص 107.

3 - الأزهر الزناد، نسيج النص، المرجع السابق، ص 48.

4 - خطابي محمد لسانيات النص، المرجع السابق، ص 23، 24.

5 - الأزهر الزناد، نسيج النص، المرجع السابق، ص 87.

6 - خطابي محمد، لسانيات النص، المرجع السابق، ص 24.

7 - المرجع نفسه، (ص ن).

فكلمة (الصعود) تعتبر إعادة لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى و"التسلق" مرادف للصعود و"العمل" اسم مطلق يمكن أن يدرج فيه الصعود أو مسألة الصعود، الشيء كلمة عامة تندرج ضمنها أيضا كلمة "الصعود" ... إلى آخره.

6 - التضام:

"وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"¹، وهذا يعني أن التضام عملية ذهنية عند كل من المرسل والمتلقي أي بوجود مقصدية متبناة من مبدع النص، وحس المتلقي الذي يربط بين المفردات بعلاقات تجعلها مترابطة، وهذه العلاقات تتمثل في:

- التعارض (التضاد): مثل: بنت، ولد، حب، كره.
 - القسم العام: تضمن عناصر من نفس القسم: كرسي، طاولة، وهما عنصران من اسم عام هو (التجهيز).
 - وعلاقات أخرى مثل: الكل- والجزء- أو الجزء- الجزء.
- ومهما يكن من أمر فإن مهارة المتلقي وأدواته المعرفية وثقافية المتنوعة يمكن أن تبني علاقة التضام داخل النص وتوحد العلاقة القائمة بين الأزواج².

7 - العلاقات:

وهي حلقات وصل بين مفاهيم التي تظهر عالم النص، وتحمل كل حلقة وصل نوع من التعبير الذي ترتبط فيها وهذه العلاقات تربط أجزاء النص دون اعتماد وسائل ربط شكلية فهي بذلك علاقات دلالية "تخضع لمبادئ معرفية كالإدراك والإهتمام.

¹ - خطابي محمد، لسانيات النص، المرجع السابق، ص 25.

² - الخوالدة فتحي رزق، تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، ط1، دار عمان، (د، ت)، ص 104. (نقلًا عن: فوزية عبد الله علي خريشة، التماسك والانسجام عند عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز -، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، 2012م، ص30).

8- السياق وخصائصه:

وهو السياق المقامي الذي ظهر أو حدث فيه النصّ، وعليه ينبغي على محلّ النصّ النظر في سياق النصوص المراد دراستها، وذلك لأهمّيته في تأويل وفهم النصوص، بل إن بعضهم جعل السّياق من أهم المبادئ التداولية التي تحقق الانسجام في النصّ، ويتشكل السّياق في خصائص صنفها هايمس وهي¹: المرسل، المتلقي، الحضور، الموضوع، المقام، القناة، النظام، المفتاح، الغرض، وهذه العناصر ليست جميعها ضرورية في جميع الأحداث، لكن كلما كثر ما يعرفه المحلل منها، كان أقدر على التنبؤ بما يُحتمل أن يُقال.

9 - المعرفة السابقة:

والمقصود بها الإطار المعرفي الذي يمتلكه المتلقي عند تحليله للنصّ "فالإنسان يملك معرفة موسوعية، قابلة للتزايد والنمو، تبعا لتجاربه في الزمان والمكان، ويملك قدراً هائلاً من المعارف، وحين يواجه خطاباً يسحب من ذاكرته المعلومات التي توافق الخطاب الموجه، وهذا يعني أن المعرفة مخزنة بطريقة منظمة ومضبوطة"². وهذا مؤداه أنّ الإنسان في تعامله مع معطيات اللّغة يعتمد على أطر مخزنة في ذهنه يجتر منها ما يساعده على تفسير النصوص، مستعيناً على ذلك بمعرفته العامة للعالم بما يحويه من عوامل اجتماعية وثقافية ومعرفية وقد وصف مختصون كيفية تنظيم معرفة العالم في ذاكرة الإنسان، وكيفية تنشيطها في عملية فهم الخطاب، مستخدمين مفاهيم منها: (الأطر، المدونة، السيناريوهات، الخطاطة)³. وجميعها توضح عملية سحب المعلومات الخاصة بالنصّ من ذاكرة المتلقي.

¹ - خطابي محمد، لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 56.

² - المرجع نفسه، ص 312.

³ - المرجع نفسه، ص 312.

من هذا العرض يتضح أن أدوات التماسك النصّي كثيرةٌ ومتنوعةٌ وأنّها شرطٌ ضروري في أيّ نص، حتى تحقق نصّيته، وإلّا يصبحُ جُملاً متجاوزةً لا روح فيها، هذا وقد ركّز البحث على أكثر الأدوات وروداً، وأكثرها تأثيراً في تحقيق التماسك النصّي، وتمثل الأدوات الرئيسية وتشمل المرجعية أو الإحالة والعطف، والتأكيد، والبدل، والنعته، والحذف، والتكرار، ثم السياق والمناسبة مع مراعاة دور السياق في تماسك النصّ.

د - أهمية تماسك النصّ:

تظهر أهمية التماسك النصّي في أن بعضاً من علماء اللغة جعلوا عناوين كتبهم تحمل مصطلح التماسك النصّي ومثال على ذلك كتاب "رقية حسن" و "هالداي" وأكّدوا من خلال ذلك أن النصّ هو تماسك، وهو كلّ شيء، في التحليلات النصّية ودليل على ذلك أن كلّ جملة لديها شكل من التماسك مع الجملة التي قبلها مباشرةً، وكل جملة لديها روابط تربطها بالجملة التي سبقتها والتماسك بعلاقته تلك يمكننا التمييز بين النصّ واللانصّ.

والتماسك والسبك كما ورد عند الجاحظ بقوله: "وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ فراغاً جيداً وسبك سبكا واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري على الذهان"¹، فالسبك (التماسك) من المعايير النصّية كما أشار إليها سعد مصلوح في كتابه "نحو أجرومية للنص الشعري"، فقال: "وجديرٌ بالذكر أنّك ربّما وجدّت هذه الظواهر يعني معايير النصّية أو جلّها في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أشتاتاً أو فرادى"².

¹ أبي عثمان عمر بن وين بح الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1418هـ / 1998م، ج1، ص 51.

² سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري (دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول، عدد 1، 2، يوليو 1991م، ص 157.

كذلك نجد مصطلح السبك عند ابن منقذ في كتابه (نقد الشعر) قال: "خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"¹. يعني أنّ الكلام الجيد الذي يكون فيه سبك هو الذي يستطيع أنّ يعلق الكلمات ببعضها البعض.

كما ورد مصطلح (الانسجام)، وهو مصطلح استعمله الباحثون العرب المحدثون مرادفاً للتماسك لكننا وجدنا له تعريفاً عند ابن منقذ وابن أبي أصيبع المصري، (فالانسجام عند ابن منقذ أن يأتي كلام المتكلم شعرا من غير أن يقصد إليه، وهو يدل على فور الطبع والغريزة، مثل قول ابن هرمة لبعض الحجاب²).

بِاللّهِ رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ قَلْبُ لَهْ * * * * * هَذَا ابْنُ هَدْمَةَ وَاقِفٌ بِالْبَابِ

أمّا الانسجام عند ابن أبي الإصبع المصري، "فهو أن يأتي الكلام منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم بسهولة السبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف حتى يكون للجملة من المنثور، وللبيت من الموزون وقع في النفوس، وتأثير في القلوب ما ليس لغيره"³. لكن الملاحظة الأولى عن تعريف الانسجام عند ابن منقذ وابن أبي الإصبع أنّهما جعلوا الانسجام مختصاً في النصوص الأدبية، فما لم يكن عذب الألفاظ لا يوصف بالانسجام.

أما ابن منظور فنجدّه يشبه التماسك بالجسد ذلك لأنّ النصّ مشدود بعضه ببعض ويمسك بعضه بعضاً، مثل الجسد الذي لا يستغني فيه أي عضو عن الآخر وهذا حال النصّ، ذلك لأنّ أجزاء النصّ تعمل في تكاملٍ للوصول إلى المعنى واعتماد الجملة اللاحقة على السابقة للمساعدة على الفهم.

¹ أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، (د، ط) مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ص 163.

² المصدر نفسه، ص 131.

³ ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تح: حفي محمد شرف، (د ط)، نهضة مصر، (د ت)، ص 166.

وهذا جانب على قدر كبيرٍ من الأهميّة، إذ لا بد من اختيار مصطلح بعينه للدلالة على الرّوابط النّحوية والدّلالية، وإذا أخذنا بالرأي الذي ينصُّ على أنّ التّماسك "مجموعةً من العلاقات اللفظية أو الدّلالية بين أجزاء النصّ، إذ تلتحم هذه الأجزاء ويتماسك بعضها مع البعض، بحيث إذا غاب هذا الالتحام ظهر النصّ وكأنّه أشلاءً ومزقٌ لا رابط بينها"¹ نكون قد حسّنا قضية التّماسك.

وهذا يعني أن سبب تلاحم النصّ وتماسكه هي تلك الرّوابط اللفظية والدّلالية وغياب التّلاحم في النصّ يسبّب في تشويبه ويجعله ممزق لا رابط يجمعه.

وقد بيّن استيتية أهمية التّماسك في العمل الأدبي، بل في كلّ عمليات الاتّصال اللغوي فإذا غاب التّماسك الشكلي أو الدّلالي ظهر النصّ ممزقاً مفككاً لا معنى له، من كلّ ذلك نخرج بتعريف التّماسك النصي بأنّه: تعلق عناصر النصّ بعضها ببعض بعلاقات أو أدوات شكلية ودلالية، لتكون في النهاية رسالة يتلقاها متلقي فيفهمها ويتفاعل معها سلباً أو إيجاباً². أي أنّ التّماسك النصي يحصل بتلك العلاقات النّصية والأدوات وينجح بها لإعطاء رسالة مفهومة لدى المتلقي.

من خلال ما سبق يتبين لنا مفهوم الالتفات عند البلاغيين حقيقة مأخوذة من إلتفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام بخاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى أخرى، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو العكس، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو العكس، أو غير ذلك.

كما يتبين لنا أن النصّ يعني بدراسة أدوات التّماسك النصّي، إذ يؤدي الفصل بين مستوياته إلى عدم وضوح النصّ، مما يؤدي عزل أو إسقاط عنصر من عناصره الشكلية أو الدلالية، ويفسر هذا بوضوح من خلال مصطلح "التماسك النصّي".

¹ - استيتية سمير شريف، المرجع السابق، ص 27. (نقلا عن: ناصر محمود صالح نواصرة، المرجع السابق، ص 47).

² - المرجع نفسه، ص ن.

الفصل الثاني:

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

أولاً: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الربع الأول

من القرآن الكريم

ثانياً: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الربع الثاني

من القرآن الكريم

ففي هذا الفصل سنتطرق إلى صورة من صور الالتفات في بعض آي القرآن الكريم، ونخص بذلك صورة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ونتبع كل صورة والأسرار المكنونة فيها، معتمدين على التفاسير خشية الشطط، ولئلاً يفوتنا شيء من إلتفاتات القرآن الكريم.

أولاً - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الربع الأول من القرآن الكريم:

1 - سورة الفاتحة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن فاتح نماذج هذه السورة ما ورد في فاتحة الكتاب إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾¹.

ففي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ إلتفات من الغيبة إلى الخطاب، فقد سلف أن افتتح المولى شأنه السورة بخطاب الغيبة، ثم عدل إلى الخطاب، ففي ذلك قال الزمخشري "فإن قلت: لم عدل من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى المتكلم..."².

والتعبير عن معنى بطريق من طرف الكلام الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة لمد التعبير عنه بطريق آخر منها وقبل إنما اختبر للحمد والغيبة وللعبادة الخطاب للإشارة إلى

¹ - القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، سورة الفاتحة كاملة.

² - جار الله قاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيطان، الرياض- السعودية، (1418هـ/1998م)، ج1، ص118، 199.

أن الحمد دون العبادة في الرتبة، فإنك تحمد نظيرك ولا تعبده إذ الإنسان يحمد من لا يعبد ولا يعبد، فلما كان كذلك إستعمل لفظ (الحمد) لتوسطه مع الغيبة في الخبر.

وعلق أبو السعود في تفسيره على هذه السورة فقال: (إياك نعبد وإياك نستعين) إلتفات من الغيبة إلى الخطاب، وتلويح للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتتان الكلام، ومسلك البراعة حسب ما يقتضي المقام لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب، أدخل في إستجلاب النفوس وإستمالة القلوب يقع في كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين...¹ وينتقل من عالم الغيبة إلى معالم الشهود وهو يدعو بالخضوع ويقرع بالضراعة، باب المناجاة وهو إتصال روعي بقدره الله ويجيب عليه بأعظم ما يتمنى العبد وهو تحقيق سؤله.

2 - سورة البقرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موضع الإلتفات في سورة البقرة من الغيبة إلى الخطاب فقد جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١﴾²، لذلك فإلتفات من أسلوب الغيبة إلى الإسم الظاهر في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أتى به ليفي حاجة ملحة اقتضاها إيضاح المعنى الدقيق الذي تحمله إلينا هذا الإلتفات وهو عموم حكم النداء لسائر الناس في كل مكان وزمان وقد ذكره الزمخشري في الكشاف في قوله" وهو من الإلتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين.... وهو فن من الكلام جزل، فيه هز وتحريك من السامع، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما: إن فلاناً من قصته كيت وكيت، فقصت عليه ما فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم

¹ - أبي السعود بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود(المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، (د،ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان،(د،ت)، ج1، ص16.

² - سورة البقرة، الآية 21.

الطريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيهه، واستدعيت إصفاؤه إلى إرشاد زيادة استدعاء أوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازماً من طبعه مالا يجده إذا استمرت على لفظ الغيبة، وهكذا الافتتان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، سيتفتح الآذان للاستماع وستهش الأنفس للقبول¹، والسر العظيم في هذا التحول وذلك والله أعلم، ليكون النداء عاما للناس أجمعين في كل زمان ومكان، حتى قيام الساعة خصوصا أن هذا النداء من متعلق بأمر العبادة.

وكل هذه المعاني الدقيقة لا تأتي إلا بتلك المواجهة التي أحدثها تغير الأسلوب من الغيبة إلى الخطاب بالالتفات ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾².

هذه الآية المباركة من عجائب أسلوب القرآن الكريم لقد اجتمع فيها التفاتات عدة ولكل موضوع منها حكمة ربانية جليلة القدر عميقة المعنى والذي يعيننا هنا الالتفات في قوله سبحانه وتعالى: (ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) هذا خطاب مباشر لبني إسرائيل وكأنهم مائلون في الوقت الذي نزل فيه القرآن بعد أن كانوا غيبا في أول الآية عند قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) تأكيد على أهمية توثيق عقيدة التوحيد وعدم الإشراف بالله نداً لأولئك اليهود الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن ولكل أحد من عباد الله.

¹ - جار الله أبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل)، ج1، المصدر السابق، ص210.

² - سورة البقرة، الآية 83.

قال الزمخشري فيه: (ثم توليتم) على طريقة الالتفات: أي توليتم على الميثاق ورفضتموه¹ فإن الخطابات السابقة للأسلاف محكبة بالقول المقدر قبل (لا تعبدون) كأنهم استحضروا عند ذكر جنایاتهم فنعيت عليهم، وان تكون أن مع الفعل بدلا الميثاق.

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٤٣﴾².

الالتفات في قوله تعالى: (كنت) بخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (ويكون الرسول) وكان حق السياق إستمرار هذه الغيبة لتأتي التي كان عليها الرسول ولكنه سبحانه أثر صيغة الخطاب بين هذين الموضوعين من الغيبة بتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا لما أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقية بأن يحض معرفته به عليه السلام³ وما عليهم إلا إتباعك دون ما أدنى إعتراض - ولهذا ناسب ظهور.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ٢٧٢﴾⁴.

موضع الالتفات في قوله تعالى: (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) بصيغة الخطاب وذلك بعد ورود ذكرهم على سبيل الغيبة في قوله: (ليس عليك هداهم) وكان حق النظم

¹ - جار الله أبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ج1، المصدر السابق، ص 290-291).

² - سورة البقرة، الآية 143.

³ - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ص 173.

⁴ - سورة البقرة، الآية 272.

يقتضي ما ينفقوا من خير فلأنفسهم - واستمرار صيغة الغيبة إلى آخر الآية تماشياً مع سابقة غير أن القرآن الكريم إلتفت إلى مواجهتهم بخطاب يحقق أغراضاً بلاغية لا تتأتى بدونه أسيرها. (الإبداع في تلوين الخطاب ومجازبة النفس مرة وموادعتها مرة)¹، ومنها حرارة هذه المواجهة التي من شأنها هزّ النفس البشرية وإخضاعها ولكن بالإقناع فقد بسط سبحانه وتعالى القول في مناقشتهم حول مردود هذا الإلتفاق وجزائه العاجل والآجل وما ينبغي أن تكون عليه نية الإلتفاق وأن كانت خالصة لله فقد أعطوا الضمان عليها بقوله تعالى: (وأنتم لا تظلمون) وليت شعري إنه لضمان كاف بأن يبذل في سبيله كل غال ونفيس.

3 - سورة آل عمران:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومما جاء من الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب في سورة آل عمران قول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٢٨﴾².

موضع الإلتفات في الآية في قوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم) بأسلوب الخطاب بعد قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ بأسلوب الغيبة.

بدأ الله سبحانه النهي الذي يحمل معنى التحذير من موالاتة الكافرين لما في ذلك من خطر شديد على الدين الإسلامي فموالاتهم وهم أعداء الله ورسوله فرصة كبيرة لهم في بث سمومهم في أذهان المؤمنين وكذا لما فيه من ضياع لهوية الإنسان المؤمن وشخصيته وهذا بلا شك يغضب الله سبحانه وتعالى ولذا أتى هذا النهي بأسلوب الغيبة إشارة صريحة بان

¹ - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1393هـ/1973م، ص221.

² - سورة آل عمران، الآية 28.

هذا الصنيع من المعاصي التي تبعد فاعلها عن أسباب رحمته. وقد صرح بعض المتأخرين بعدم الجواز إن أريد به الذات إلا مشاكلة¹ "والى الله المصير" أي المرجع، والإظهار في مقام الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة¹، أما عند الترخيص بملائنة الكافرين في بعض الأمور لاتقاء شرهم ودفع أذاهم إذا كان محققاً أتت هذه الرخصة بأسلوب الخطاب المباشر دليلاً قوياً على أن هذا غير ذلك فالحق سبحانه وتعالى شملهم بعطفه لأنهم لا يملكون لا حول ولا قوة للدفاع عن أنفسهم ولا سبيل للنجاة.

وقال عز من قائل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي^ط بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَّلُوا وَقُتِلُوا لِأَكْفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَلْأَدْخَلْنَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ١٩٥﴾².

في هذه الآية المباركة نوعان من الإلتفات الأول من الغيبة إلى التكلم وسيرد ذكره بإذن الله تعالى، أما الثاني فهو ما يعيننا هنا وهو قوله تعالى: " (فاستجاب لهم ربهم) بصيغة الغيبة إلى ذلك الخطاب المباشر في قوله تعالى: (عمل عامل منكم) (والنكته فيه إظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة ولتشريف الداعين يشرف الخطاب والتعرض لبيان لتأكيد الاستجابة والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء)³، وقد عمم الحق سبحانه - الخطاب في (منكم) وجعله بدرجة واحدة للجنسين ثم فصله بقوله تعالى: (من ذكر أو أنثى) وهي جملة متعرضة كما قال الزمخشري: (بينت بها شركة النساء

¹ - أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني (في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د،ت)، ج3، ص126.

² - سورة آل عمران، الآية 195.

³ - أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني (في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، المرجع السابق، ج2، ص 133.

مع الرجال فيها وعد الله عباده العالمين)¹، وكذا في شرف الخطاب المباشر وما وراءه من تعظيم حال الجنسين عند الله سبحانه وتعالى بميزان أعمالهم ورضائه عنهم لا غير.

4 - سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومما جاء في النساء من هذا اللون من الالتفات من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥﴾².

وذلك بعد قوله تعالى: (واستغفر لهم الرسول)³ في الآية السابقة عليها فالإلتفات من الغيبة في قوله تعالى: (واستغفر لهم الرسول) إلى الخطاب في قوله تعالى: (فلا وربك) والسر فيه مناسبة لفظه "رب" وإضافتها لضميره صلى الله عليه وسلم زيادة تأكيد على حاجتهم جميعا لتحكيمة صلوات الله وسلامه عليه في كافة أمورهم فأنت المربي لهذا الغرض من لدن البارئ المصور ولا أحد يبلغ منزلتك هذه مهما كان ولهذا فمن عدل عنك إلى سواك في الحكم فقد عدل عن الكمال إلى النقص وهذا ما يوجب إخراجهم من الإيمان ففعله هذا دليل عليه في عدم ثقته بك وبمن رباك لهذه المهام العظام وهذا الحكم لا يقتصر على معاصري النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بل يدخل فيه كافة الخلق في كل زمان ومكان فإن قضاء شريعته عليه الصلاة والسلام قضاؤه، وقال صاحب البحر المحيط: (وأقسم بإضافة الرب إلى كاف الخطاب تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو إلتفات راجع إلى

¹ - جار الله قاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)،

ج1، المصدر السابق، ص 689.

² - سورة النساء، الآية 64-65.

³ - سورة النساء، جزء من الآية 64.

قوله: (جاؤوك)¹، جاؤوك واستغفر الله بإخلاص، واعتذروا إليك، واستغفر لهم الرسول أي: شفع لهم الرسول في غفران ذنوبهم، والعامل في إذ جاؤوك تفخيماً لشأن الرسول، وتعظيماً لاستغفاره، وتبنيها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله تعالى بمكان، وواجب علينا طاعته.

ومنه قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ﴾².

موضع الالتفات الأول في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: (فما أرسلناك) بضمير الخطاب -الكاف- وذلك بعد ذكره صلى الله عليه وسلم بصيغة الغائب في قوله تعالى: "من يطع الرسول" فالإلتفات كما ترى من الغائب إلى الخطاب وبالتأمل في هذه الآية المباركة نجد أن الإلتفات فائدة عظيمة جدا يبرزها العلم بسبب نزولها ذلك أن رسول الله عليه وسلم ورد عنه أنه قال: "من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله، فقال المنافقون ألا تسمعوا إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك، وهو نهى أن يعبد غير الله تعالى ما يريد إلا أن يتخذه رباً كما إتخذت النصارى عيسى عليه السلام؟ فنزلت"³ أي من أعرض عن الطاعة فأعرض عنه لأننا إنما أرسلناك رسولاً مبلغاً لا حفيظاً مهيمناً تحفظ أعمالهم عليهم وتحاسبهم عليها فهذا عملنا نحن المرسلين وفي توجيه الخطاب له عليه أفضل الصلاة والتسليم تبيحت المنافقين المدعين على الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الدعاوي البطالة.

5 - سورة المائدة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

¹ - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، طبعة جديدة، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د،ت)، ج2، ص 94.

² - سورة النساء، الآية 80.

³ - أبي المسعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المصدر السابق، ج2، ص206.

ومما جاء من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في سورة المائدة قولُ الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥﴾¹.

جاء في الآية المباركة نوعان من الالتفات الأول هو ما بدأت به الآية من نداء لأهل الكتاب بصورة الخطاب وذلك بعد قوله تعالى فيما سبق من آيات: (ولقد اخذ الله ميثاق بني إسرائيل) وكذا في قوله تعالى: (فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم) وكذا قوله تعالى: (ومن الذين قالوا إنا نصارى) كل هذه الآيات السابقة كانت تحكى عن أهل الكتاب بصيغة الغيبة ثم يلتفت المولى العزيز المتعالي إليهم في هذه الآية ليخاطبهم بنداء مباشر لإيقاظ نفوسهم لعلها تصحو عندما توجه لهم هذه الصفحة القوية فيعود الغائب إلى رشده ويعترف بالحقائق كاملة ليحق الحق ويزهق الباطل ثم لننظر ونتأمل كلمة (رسولنا) كم فيها من تشريف للحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وتبكيه واندحار لهؤلاء الضالين وقد زاد المعنى عمقاً (التعبير عنهم بعنوان أهلية الكتاب للتشجيع، فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الأحكام)²، ولكنهم جحدوا ذلك كله وهو الخطاب يواجههم بجرمهم وقبيح فعلهم ليكون حجة عليهم ونصرة للرسول الكريم فقد كان من أهم ما جحده أهل الكتاب صفته صلى الله عليه وسلم³ - وجاء في تفسير ابن جرير الطبري أن الذي كانوا يخفونه (فبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس رجم الزانيين المحصنين)⁴.

1 - سورة المائدة، الآية 15.

2 - أبي سعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ج3، ص17-18.

3 - أنظر: جار الله أبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، المصدر السابق، ج2، ص218.

4 - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان (عن تأويل أي قرآن)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، مصر، 1422هـ/2001م، ج8، ص262.

فآية الرجم المقصود منها إثبات حكمها، لا لتعبد بها، ولا تلاوتها فأنزلت وقرأها الناس، وفهموا منها حكم الرجم، فلما تقرر ذلك في نفوسهم نسخ الله تلاوتها والتعبد بها، وأبقى حكمها الذي هو المقصود.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٩﴾¹.

وفي الآية المباركة الإلتفات من الغيبة الواردة في أسلوب الآية السابقة عند قوله تعالى: "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه"².

والى هذا النداء المباشر في قوله تعالى: (يا أهل الكتاب) وقد تكرر مثل هذا كثيرا وذلك لتأخذ الدعوة معهم مختلف الأساليب والنداء هنا يدل على التلطف واللين ليكون الأمل أكبر والرجاء أرحب في هدايتهم إلى الحق، ولكنهم قوم ضالون قالوا: (ما بعث الله من بني بعد موسى ولا أنزل بعد التوراة كتابا)³، قال اليهود أن الله لا ينزل كتاب من بعد كتاب موسى، ويعني بقوله جل ثناؤه: (قد جاءكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم "بين لكم". يقول: "يعرفكم الحق، ويوضح لكم أعلام الهدى، ويرشدكم إلى دين الله المرتضى والمقصود أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل، طموس من السبل، وتغيير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به ألم النعم والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان، والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين.

¹ - سورة المائدة، الآية 19.

² - جزء من الآية "18" سورة المائدة.

³ - أنظر: جار الله أبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل)، المصدر السابق، ج2، ص 218.

6 - سورة الأنعام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مما جاء في سورة الأنعام المباركة من هذا الضرب من الالتفات قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ٢﴾¹.

الالتفات في قوله تعالى: (خلقكم من طين) بصيغة الخطاب وذلك بعد أسلوب الغيبة في الآية الأولى في قوله تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وكان مقتضى السياق، هو الذي خلقهم بدل (خلقكم) ولكنه سبحانه عدل عن هذا إلى مواجهتهم بالخطاب لحكمه اقتضاها المقام وهي: أن المواجهة فيها زيادة تشنيع وتوبيخ² لهم على عدولهم عن عبادة من يستحق العبادة وصرفها لغيره جل شأنه وتعالى عما يصفونكبيراً وذلك لشك يغمر قلوبهم في مقدرته سبحانه على إعادة خلقهم بالبعث ليحاسبهم ويجاز بهم على ما اقترفته أيديهم ولهذا عدل الأسلوب عن الغيبة التي بدأت بها الآية إلى الخطاب المباشر وقال تعالى في السورة نفسها: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٣٢﴾³ موضع الالتفات في قوله تعالى: (أفلا تعقلون) بصيغة الخطاب وذلك بعد صيغة الغيبة التي كانت تسير عليها الآية في قول الله تعالى: (وللدار الآخرة خير الذين يتقون) وكان مقتضى الظاهر: (أفلا تعقلون) بدل: (تعقلون)، قال صاحب البحر المحيط فالمواجهة في المقام أبلغ وأروع⁴ لما تحمله من هزة نفسية قوية في نفس السامع أو فينزل نفسه منزلة الشخص المخاطب الداخل في حيز الأمر بالتدبر والتفكير والتعقل في آيات الله

¹ - سورة الأنعام، الآية 1-2.

² - بنظر أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)،

المرجع السابق، ج3، ص105.

³ - سورة الأنعام، الآية 32.

⁴ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المصدر السابق، ج4، ص486.

وغيرهم لعلهم يعقلون فيحكموا عقولهم فيما جاء به الذكر الحكيم ويدبروه على مكث وبصيرة لعلهم يهتدون، وفي هذه الالتفات تشديد بالتوبيخ¹، عمّا كانوا فيه من الكفر والمعاصي وأنه مصرون عن الذنب وعائدون إليه وغير تأبين عليه.

ومنه في هذه السورة أيضا قول الله تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ۚ ۱۹۱ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۚ ۱۹۲ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُمْتُونَ ۚ ۱۹۳﴾²، الالتفات في قوله تعالى: (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون) بطريق الخطاب المباشر للمشركين³ وذلك بعد ذكرهم بطريقة الغيبة في قوله تعالى: (يشركون ملا يخلق شيئا وهم يخلقون) وكان ومقتضى السياق إستمرار صيغة الغيبة التي جاءت في أول الآية فيأتي السياق على النحو التالي: وإن يدعوهم إلى الهدى لا يتبعوهم - ولكن صيغة الخطاب أقوى في المواجهة والتبكيك للذات يحتاجها المقام العقائدي فهي أحقّ بتحقيق الحق وإزهاق الباطل - قال أبو السعود: (والخطاب للمشركين بطريقة الالتفات المنبئ عن مزيد الإعتناء بأمر التوبيخ والتبكيك أي أن تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما يحصلون به المطالب أو تتجون به عن المكاره ولا يتبعوكم إلى مرادكم وطلباتكم)⁴ إنما أراد الله جلّ ثناؤه تنبيههم على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم وإنما الرب المعبود هو النافع من يعبده، الضار من يعصيه الناصر وليه، الخاذل عدوه، الهادي إلى الرشاد من أطاعه والسامع دعاء من دعاه.

2 - سورة الأنفال:

¹ - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ج3، ص288.

² - سورة الأعراف، الآية 191-192-193.

³ - أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الأندلسي البغدادي، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ج9، ص143.

⁴ - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج3، المرجع السابق، ص305.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومنه ما جاء في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٣ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ١٤﴾¹، الإلتفات من الغيبة في (شاقوا) إلى الخطاب في (ذلكم)² وكان مقتضى السياق إستمرار صيغة الغيبة ولكنه سبحانه أراد بهذه اللفظة أن يدل على مقدار غضبه عز وجل عليهم فاستحقوا هذا القهر والتشفي الذي يحمل أسلوب الخطاب في قوله تعالى: (ذلكم فذوقوه) وذلك لما اقترفته أيديهم من مشاققة الله ورسوله فيقول الله تعالى: "ذكره هذا العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله في الدنيا من الضرب فوق الأعناق منكم وضرب كل بنان بأيدي أولياء المؤمنين فذوقوه عاجلاً واعلموا أن لكم في الآجل والميعاد عذاب النار"³، ذلك الذي حدث للكفار من ضرب رؤوسهم وأعناقهم وأطرافهم؛ بسبب مخالفتهم لأمر الله ورسولهم، ومن يخالف أمر الله ورسوله، فإن -لكم أيها الكافرون المخالفون لأوامر الله ورسوله في الدنيا- فذوقوه في الحياة الدنيا ولكم في الآخرة عذاب النار.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ٦٥﴾⁴ الإلتفات في هذه الآية فهي قوله تعالى: (إن يكن منكم) بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد ذكر المؤمنين بصيغة الغيبة في قوله تعالى: (حرّض المؤمنين) وكان مقتضى السياق - إن يكن منهم باستمرار صيغة الغيبة التي بدأت بها الآية ولكن هذه

¹ - سورة الأنفال، الآية 13-14.

² جار الله القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكاشف (عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، المصدر السابق، ج2، ص563.

³ - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ج11، ص74.

⁴ - سورة الأنفال، الآية 65.

المواجهة من أهم خصائص التثبيت وزيادة الاطمئنان في قلوب المؤمنين لشعورهم أن الله معهم وهم بحضرتة رافة بهم وتعظيماً لشأنهم وتأكيذاً لوعده الله سبحانه وتعالى لهم بالنصر المبين، وهو وعد كريم منه تعالى بتغليب لكل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم بطريقة الاستئناف بعد الأمر بتحريضهم¹ يا أيها النبي حث المؤمنين بك على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون عند لقاء العدو يغلبوا مائتين منهم، فإن يكن منكم مائة مجاهدة صابرة يغلبوا ألفاً من الكفار لأنهم قوم لا علم ولا فهم عندهم لما أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون من أجل العلو في الأرض والفساد فيها.

3 - سورة التوبة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومنه في سورة التوبة قول الله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عٰهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۚ﴾².

موضع الالتفات في قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۚ﴾ ، في هذا الخطاب طويل وذلك بعد أسلوب الغيبة في أول الآية في قوله تعالى: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) وكان مقتضى السياق فليسيحوا في الأرض أربعة أشهر وليعلموا أنهم غير معجزى الله- ولكن شتان بين هذا وذاك؛ لأن الأسلوب مباشرة الخطاب أعطى تأكيداً على الرخصة والإباحة في هذه الشهور الأربعة فلينتظروا ما عساه أن يأتيهم من وراء ذلك إن أثروا الاستمرار على كفرهم فحمل هذا

¹ - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ج4، ص34.

² - سورة التوبة، الآية 1-2.

الخطاب في طياته أقوى معاني التهديد والوعيد ولذا ذيلت الآية الكريمة بقوله تعالى: (إن الله مخزي الكافرين).

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦١﴾¹.

موضع الإلتفات في قوله تعالى: (قل) بصيغة الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ذكره بصيغة الغائب في قوله تعالى: (يؤذون النبي) فالإلتفات كما نرى من الغيبة إلى الخطاب ولو صار الأسلوب مناسباً لسابقه لكان السياق كما يلي: "فيقل لهم النبي - ولكن الحق تبارك وتعالى أوجز المعنى ونقلنا مباشرة إلى أسلوب الخطاب اعتماداً على فطنة المؤمن وتنبهها للغافل واستحضاراً للصورة أمام متعهدي القرآن.

ومن عجائب نظم القرآن العظيم عودة الأسلوب مرة أخرى إلى نفس الصيغة الأولى - الغيبة - في قوله تعالى: "يؤذون رسول الله"² ليظهر إلتفات جديد عجيب في بلاغته أي بأن نوع من الإيذاء كان وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتيب الوعيد على إستمرار على ما هم عليه إشعار بقبول توبتهم.

4 - سورة يونس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

¹ - سورة التوبة، الآية 61.

² - أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في (تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، المرجع السابق، ج10، ص127.

مما جاء في سورة يونس من هذا اللّون من الالتفات قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهِمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝٢١﴾¹.

الالتفات في قوله تعالى: (ما تمكرون) بصيغة الخطاب وذلك بعد ورود ذكرهم بصيغة الغائب في أول الآية في قوله تعالى: (الناس) وكذا في (مستهم) وكذا (لهم) عدّة مواضع تؤكد بعضها بعضاً كلها بضمير الغيبة ثم يتحول الأسلوب إلى الخطاب المباشر في قوله تعالى: (تمكرون) قال أبو حيان: "الخطاب مبالغة لهم في الإعلام بحال مكرهم، والتفاتاً لقوله: "قل الله أي قل لهم؛ فناسب الخطاب"².

إذا أدقنا المشركين يسراً وفرحاً ورخاءً بعد عسرٍ وشدةٍ وكرٍ أصابهم، إذا هم يكذبون ويستهزئون بآيات الله، قل- أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المستهزئين: الله أسرع مكرًا واستدراجاً وعقوبة لكم، إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم يكتبون عليكم ما تمكرون ثم نحاسبكم على ذلك ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾³.

الالتفات في هذه الآية المباركة في قوله تعالى: (أن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون) خاطبهم سبحانه بعد ذكرهم عن طريق الغيبة في قوله تعالى: (قالوا أتخذ الله ولداً) ولو سار السياق على نفس النمط لكان- إذ عندهم من سلطان بهذا أيقولون على الله ما لا يعلمون- إستكمالاً لما بدأت به الآية ولكن الالتفات إلى مخاطبهم (المزيد المبالغة في إلزامهم)⁴ بذنبهم الذي إفتروه على الله وتقريعهم بهذا التساؤل المفحم بقوله عزّ

1 - سورة يونس، الآية 21.

2 - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المصدر السابق، ج 6، ص 31.

3 - سورة يونس، الآية 68.

4 - أبي الفضل شهاب الدين محمود الألويسي البغدادي، روح المعاني في (تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، المرجع السابق، ج 11، ص 155.

من قائل: (أتقولون على الله مالا تعلمون) قال أبو السعود (والإلتفات إلى الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإقحام، وتأكيد ما في قوله تعالى: "أتقولون على الله مالا تعلمون" من التوبيخ والتفريع على جهلهم وإختلافهم، وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعي، وإنّ التقليد بمعزل من الإعتداد به"¹، إنّها إستدلال على مضمون ما قبلها من نفي وجود شركاء له في الخلق والتقدير، ولا بالشفاعة عنده في التصرف والتدبير، فهو الذي جعل لكم الوقت قسمين بمقتضى علمه ومشيئته بدون مساعد ولا شفيع، بل بمحض الحكمة البالغة والرحمة الشاملة.

5 - سورة هود:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومما جاء من الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب في سورة هود قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَدَّ أَبَلْغَتُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌۙ﴾².

الإلتفات في قول الله تعالى (أبلغكم) بصيغة الخطاب وذلك بعد ذكرهم بصيغة الغيبة في قوله تعالى: (فإن تولوا) وكان مقتضى السياق فقل: قد أبلغكم ولكنه سبحانه نقلنا مباشرة إلى المشهد ليغطي الصورة روح الحياة ويجعل المتلقي داخل دائرة هذا التبليغ فيحتمل تبعيته، قال فيه ابن عطية: (قرأ الجمهور) (تولوا) بفتح اللام والتاء على معنى تتولوا، وقرأ عيسى الثقفي والأعرج: (تولوا) بضم التاء واللام³، وعلى هاتين القراءتين فلا إلتفات ولكنه إستدراك.

¹ - أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ج4، ص163.

² - سورة هود، الآية 57.

³ - أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز (في تفسير الكتاب العزيز)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (1422هـ، 2001م)، ج3، ص182.

وقال: (ويحتمل أن يكون (تولوا) فعلا ماضيا ويجئ في الكلام رجوع من الغيبة إلى الخطاب، أي فقل: قد أبلغتكم)¹، فإن تعرضوا عما أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له فقد أبلغتكم رسالة ربي إليكم، وقامت عليكم الحجة، وحيث لم تؤمنوا بالله فسيهلككم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم، ويخلصون الله العبادة، ولا تضرونه شيئا، إن ربي على كل شيء حفيظ، فهو الذي يحفظني من أن تتالوني بسوء.

6 - سورة يوسف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومما جاء من الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾².

الإلتفات في قوله تعالى: " أفلا تعقلون" وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى: "(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا) وكان مقتضى السياق - أفلا يعقلون، تماشيا مع سابقه ولكن وجود هذا الخطاب أحدث هزة نفسية للمؤمنين الواقفين على الآية زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أن تقوم الساعة فالخطاب هو الأنسب لأسلوب الدعوة إلى الله (تحذير مما وقع فيه أولئك فيصيبهم ما أصابهم)³ قال تعالى: " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا" أي لم نرسل الملائكة ولا غيرهم من أصناف الخلق، فلاي شيء يستغرب قومك رسالتك، ويزعمون أنه ليس لك عليهم فضل، فلك فيمن قبلك من المرسلين أسوة حسنة "نوحى إليهم من أهل القرى" أي: لا من البادية بل من أهل القرى الذين هم أكمل عقولا وأصح آراء، وليتبين أمرهم ويتضح شأنهم (أفلا يسيروا في الأرض) إذا لم يصدقوا لقولك(فينضروا كيف كان عاقبة

1 - المصدر نفسه،(ن،ص).

2 - سورة يوسف، الآية 109.

3 - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المصدر السابق، ج6، ص334.

الذين من قبلهم) كيف أهلكهم الله بتكذيبهم، فأحذروا أن تقيموا على ما أقاموا عليه، فيصحبكم ما أصابهم "ولدار الآخرة" أي: الجنة وما فيها من النعيم المقيم (خير للذين إتقوا) الله في امتثال لأوامره واجتناب نواهيه فإن نعيم الدنيا منغص منكذ منقطع، ونعيم الآخرة تام كامل لا يفنى أبداً، بل هو على الدوام في تزايد وتواصل وعطاء غير محدود (أفلا تعقلون) أي: أفلا تكون لكم عقول تؤثر الذي هو خير على الأدنى.

7 - سورة إبراهيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقال الله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٩ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ٤٠﴾¹.

الالتفات في قوله تعالى:(ربي اجعلني) بصيغة الخطاب وذلك بعد ذكره سبحانه بصيغة الغيبة عند قوله تعالى:(إن ربي) ونكتته أنه عليه السلام لما تذكر أن ربه سبحانه وتعالى سميع الدعاء شرع في مناجاته ودعائه بما يريد ولهذا فإن حالة نفسية دفعت سيدنا إبراهيم عليه السلام للتوجه إلى الله بهذه الحرارة في دعائه.

8 - سورة الحجر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقال عز وجل في سورة الحجر: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٤٥ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾².

¹ سورة إبراهيم، الآية 39-40.

² سورة الحجر، الآية 45-46.

الالتفات في قوله تعالى: (أدخلوها) بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (إن المتقين في جنات وعيون) وكان مقتضى السياق - فليدخلوها - ولكنه أعظم بشرى ينتظرها العبد المؤمن وقلبه معلق بمولاه وهو سبحانه يزفها إليه بخطاب مباشر يحمل هذه النعمة العظيمة لعباد الله المتقين.

9 - سورة النحل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومنه في سورة النحل قول الله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاءَيْتَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٥٥﴾¹، الالتفات في قوله تعالى: (فتمتعوا فسوف تعلمون) بهذا الخطاب الواضح وذلك بعد أن أتى ذكرهم بصيغة الغيبة في قوله تعالى: "ليكفروا بما أتاهم" ولو سار السياق على الغيبة لكان - فتمتعوا فسوف يعلمون - ولكن المواجهة أبلغ في هذا المقام لما فيها من سياط التوعد والتهديد² تلفح وجوههم وجنوبهم وتكشف لهم جانباً لما أعد لهم من عذاب مقيم ولهذا غير الأسلوب إلى الخطاب.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ٥٦﴾³.

¹ سورة النحل، الآية 55.

² - محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، ط4 دار المعرفة بيروت-لبنان، 1428هـ/2007م، ص786.

³ - سورة النحل، الآية 56.

لا يخفى أن الإلتفات في قوله: ﴿لَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ٥٦﴾ (وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد مالا يخفي)¹ على أحد فترعد صواعق الوعيد في النفوس رهبة فيتهيّبوا لهذا السؤال المنتظر ويكون هذا الشعور مدعاة للنفس البشرية في العمل الصالح تحسباً له، ومن قبيح أعمالهم أنهم يجعلون الأصنام التي إتخذوها آلهة، وهي لا تعلم شيئاً ولا تتفجع ولا تضر، جزءاً من أموالهم التي رزقهم الله بها تقرباً إليها، تالله لسؤالنّ يوم القيامة عما كنتم تخلقونه من الكذب على الله.

10 - سورة الكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما جاء في سورة الكهف المباركة من هذا اللون من الإلتفات قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ١ فَيَمَّا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ٢ مَكْثِينَ فِيهِ أَبَدًا ٣ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وِلْدَاءَ ٤ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبِرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ٥ فَلَعَلَّكَ بُخْعَ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾².

الإلتفات من صيغة الغيبة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى: (على عبده) إلى صيغة الخطاب في قوله تعالى: "فلعلك باخع نفسك" لقد بدأ السورة بالثناء عليه سبحانه من عبادته، وأعظم درجات الثناء في النفس ثناء الغائب- وناسبت هذه البداية أسلوب الغيبة أيضا في قوله تعالى (على عبده) لما (في عبده من الإضافة المقتضية تشريفة)³ صلى الله عليه وسلم ولكن عند التلطف مع الحبيب المصطفى لمواساة هذا العبد

¹ - أبي سعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المرجع السابق، ج5، ص121.

² - سورة الكهف، الآية 1-6.

³ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المصدر السابق، ج7، ص135.

لما يجده من حزن وألم شديدين، على صدور الكافرين فأسلوب الخطاب هو الأرحبُ لحمل تلك المعاني العظام (تقريباً وتوقيفاً بمعنى الإنكار عليه)¹ صلى الله عليه وسلم ولكن هذا الإنكار يحمل في طياته الحب والتودد والمواساة ولا شك هو الأجدر والأبلغ ولا غير.

من خلال ما سبق رأينا تعدد معاني الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ويستطيع الباحث أن يستنبط معانٍ أخرى كثيرة لهذا النوع من الالتفات، وفي هذا دليل واضح على قوة الفصاحة واتساع المعاني البلاغية التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وهذا بحق، دليل واضح على إعجاز هذا الكتاب، وأنه منزل من عند الله تعالى.

¹ أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز (في تفسير الكتاب العزيز)، ج3، المصدر السابق، ص496.

الفصل الثالث:

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

وفي هذا الفصل سنتطرق إلى صورة من صور الالتفات في القرآن الكريم، ونخص بذلك صورة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وهي تعظيم شأن المخاطب لأن مخاطبة الله تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه.

أولاً - الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في الربع الأول من القرآن الكريم:

1 - سورة الفاتحة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أول مواضع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة جاء في سورة الفاتحة المباركة في قول الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾¹.

الالتفات جاء في قوله تعالى "غير المغضوب" وذلك بعد قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) ولو جاءت كسابقها - غير الذين غضبت عليهم - لكنه سبحانه وتعالى عدل عن إسناد الغضب له مباشرة لأغراض بلاغية منها أنه من الأنعم التي أنعمها الله على عبده الهداية ومن اهتدى لدينه فقد سلم من غضبه إلى يوم الدين، لذا نجد الأسلوب القرآني المعجز يترفع عن إسناد الغضب لله صراحة في هذا المقام لما فيه من كراهية في النفس بعد إسناد النعمة له سبحانه وتعالى بتاء الخطاب المباشر في (أنعمت) فقال تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم) فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال: (غير المغضوب عليهم) عطفاً على الأول لأن الأول بذكر نعمة الله تعالى أفاد موضع التقرب من الله تعالى فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظاً وروى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً² فإسناد الغضب هنا لله لا يتناسب مع معاني الرحمة والرضا على

¹ - سورة الفاتحة، الآية 7.

² - ضياء الدين الأثير، المثل السائر (في أدب الكاتب والشاعر)، تح: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ط2، دار نهضة مصر، (د-ت)، ج2، ص 170.

العباد، وانتقال السورة في آخرها من الخطاب إلى الغيبة أفاد تعظيم شأن المخاطب بإسناد النعمة إليه.

2 - سورة البقرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾¹.

الإلتفات كما لا يخفى في قوله تعالى: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بصيغة الغيبة عدولا عن صيغة الخطاب في أول الآية في قول تعالى: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم) وكان مقتضى هذا الخطاب قوله: -وما ظلمتمونا ولكن كنتم أنفسكم تظلمون- ولكنه سبحانه وتعالى أخرجه معدولاً به عن نهج الخطاب السابق للإيدان باقتضاء جنایات المخاطبين للإعراض عنهم وتعدد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباشرة² للخلائق جميعاً بما صنعتها بنو إسرائيل من ظلمهم لأنفسهم فقوله تعالى: (وما ظلمونا) يقدر قبله: فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر، والمعنى وما وضعوا فعلهم في موضع مضرة لنا ولكن وضعوه في موضع مضرة لهم حيث لا يجب³، ولكنهم قابلوها بالكفر الذي لا يتخطاهم ضرره... وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بين ظلمونا، ويظلمون للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر⁴.

1 - سورة البقرة، الآية 57.

2 - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ت)، ج1، ص 104.

3 - أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في (تفسير الكتاب العزيز)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2009م، ج1، ص 149.

4 - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ص 104.

فكان الحق تبارك وتعالى يخبرنا عنهم أنهم في جميع الأزمان ماضيها ومستقبلها هم ظالمون لأنفسهم، وقد جعل سبحانه وتعالى الكلام عنهم بصيغة الغيبة عن طريق الحكاية إيدانا منه بغضه الشديد عليهم لكثرة أخطائهم وجرائمهم على عفوهم حتى أبعدهم عن رحمته وأكسبتهم عظيم غضبه ولهذا حرمهم عز وجل من شرف الحضور وجعلهم عبرة لمن يَعْتَبِرُ.

ومنه في هذه السورة المباركة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ٨٧ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨﴾¹.

الالتفات في قول الله تعالى: (وقالوا) بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم فيما سبق وهذه الجملة عطف على (استكبرتم) أو على (كذبتم) تفسير للإستكبار، وعلى التقديرين فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة إعراضاً عن مخاطبتهم وإبعاداً لهم عن الحضور²، ويؤيد ذلك الأبعاد والتغيب قوله عز وجل: (بل لعنهم الله بكفرهم) يعني جل ثناؤه: بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم هؤلاء هم اليهود الذي فطرتهم بريء من كل الافتراءات المنسوبة إليه من قبلهم من أكاذيب، وادعاءات باطلة ولكن ليعاقبهم الحق تبارك وتعالى ببعدهم بهذه الغيبة وليتبعهم لعنة فوق ما هم فيه (من مخازيهم الموحية للإعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من أهل الحق)³، وجزاؤهم عند الله بعقاب شديد يوم لا ينفعهم فيه شيء ولا كفرهم بالله عز وجل.

¹ - سورة البقرة، الآية 87-88.

² - محمد بن يوسف الشهير بأبي حبان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، طبعة جديدة بعناية، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1431هـ - 1432 - 2010م)، ج1، ص 482.

³ - أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج1، المرجع السابق، ص 127.

3 - سورة آل عمران:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من أول مواضع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في سورة آل عمران المباركة قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾¹. الالتفات في قول الله عز وجل: (إن الله لا يخلف الميعاد) بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم سبحانه بالدعاء والالتجاء إليه في قولهم: (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) وكان مقتضى السياق: (إنك لا تخلف الميعاد) بصيغة الخطاب ولكن ظهور جملة (إن الله لا يخلف الميعاد) بصيغة الغيبة لأغراض بلاغية منها كما قال: ابن عطية يحتمل أن يكون إخبارا منه محمدا عليه السلام وأمه، ويحتمل أن يكون حكاية من قبل الداعين، ففي ذلك إقرار بصفة ذات الله تعالى² وهو من بقية كلام الراسخين في العلم³ وأن معنى الكلام في (ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة، فاغفر لنا يومئذ واعفوا عنا، فإنك لا تخلف وعدك، إن من آمن بك واتبع رسولك وعمل بالذي أمرته به في كتابك أنك غافره يومئذ وإنما هذا من القوم مسألة ربهم أن يثبتهم على ما هم عليه من حسن)⁴، والغرض الأعظم من دعائهم ما يتعلق بالآخرة فإننا نعلم أنك يا إلهنا جامع الناس للجزاء في يوم القيامة، وأن وعدك لا يكون خلفا

1 - سورة آل عمران، الآية 9.

2 - أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في (تفسير الكتاب العزيز)، ج1، المصدر السابق، ص 405.

3 - محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1401هـ - 1981م) ج14، ص 196.

4 - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق بشار عواد، معروف وعصام فارس الحرشاني، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (1415هـ - 1994م) ج2، ص 221.

وكلامك لا يكون كذبا، فمن زاغ قلبه بقي في العذاب أبد الآباد ومن أعطيته التوفيق والرحمة والهداية وجعلته من المؤمنين، بقي في السعادة والكرامة أبد الأبدِين¹.

لذا يجب العمل لآخرتنا بكل ما يرضيه عز وجل حتى ننال جنة النعيم.

ومنه في نفس السورة المباركة - آل عمران - قول تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾² ٤٧

الالتفات في قوله تعالى: (قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) جاء بصيغة الغيبة عنه عز وجل وذلك بعد خطاب مريم عليها السلام له مباشرة بقولها (رب) وكان مقتضى السياق - كذلك أنا أخلق ما أشاء إذا قضيت أمرا فإنما أقول له كن فيكون - ولكن غاب ذلك لغياب لفظ الجلالة بصيغة الغيبة شيء معجز لا يقف على أسراره غير مبدعة سبحانه وتعالى وإنما هي محاولات من البشر لعلها تصيب شيئا من الصواب قال فيه بعض المفسرين: (يعني بذلك جل ثناؤه قالت مريم إذ قالت لها الملائكة إن الله يبشرك بكلمة منه (رب أنى يكون لي ولد) من أي وجه يكون لي ولد ولا زوج أتزوجه وبعل أنكحه أو تبتدئ في خلقه من غير بعل ولا فحل من غير أن يمسنني بشر فقال الله لها (كذلك الله يخلق ما يشاء) يعني هذا أن الله يخلق منك ولداً من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فإنه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد)³ ومن هنا كان الالتفات إلى الغيبة الأبلغ لحاجة المعنى للاسم الجليل مع ظهور معجزة من معجزات خلقه جل جلاله.

4 - سورة النساء

¹ - محمد الرازي فخر الدين، تفسير فخر الرازي، (الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج14، المرجع السابق، ص 197.

² - سورة آل عمران، الآية 47.

³ - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير العيبي (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ج2، المصدر السابق، ص 258.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾¹.

موضع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: (أو نلعنهم) بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبة أهل الكتاب بالنداء في أول الآية في قوله تعالى: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا) فقد قال صاحب الكشف شارحاً معنى الآية ومبينا وجوه البلاغة فيها: فإذا قلت: لمن الراجع في قول: (أو نلعنهم)؟ قلت: للوجوه إن أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى: من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات².

وكان مقتضى هذا الخطاب استمرار صيغته فتأتي الآية - من قبل أن نطمس وجوهكم فنردها على أدبارها أو نلعنكم كما لعنا أصحاب السبت-، والذي حسن هذا الالتفات (أنه تعالى لما ناداهم كان ذلك تشريفا لهم وهزأ لسماع لم يلقيه إليهم ثم ألقى إليهم الأمر بالإيمان بما نزل ثم ذكر أن الذي نزل هو مصدق لما معهم من كتاب فكان ذلك أدعى إلى الإيمان والاستدعاء إلى الإيمان غير مشوب بمفاجآت الخطاب الذي يوحش السامع ويروع القلب ويصير أدعى إلى عدم القبول وهذا من جليل المخاطبة وبديع المحاوره³. وهذا النداء والانصراف من ضمير إلى ضمير أكسب شيء من رونق اللفظ ولذع الوعيد الذي صاغه سبحانه وتعالى.

ومنه كذلك قول الله تعالى في "سورة النساء":

¹ - سورة النساء، الآية 47.

² - جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن (حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، تح وت: عادل المدعب الموجود وعلي محمد محوض، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ - 1998م، ج2، ص 89.

³ - محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المصدر السابق، ج3، ص 669.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾¹.

الالتفات في قول الله تعالى: (استغفر لهم الرسول) بصيغة الغيبة عنه صلى الله عليه وسلم بعد مخاطبته في قوله تعالى: (جاءوك) وكان مقتضى هذا الخطاب (استغفرت لهم) وهذا لتعظيم شأن الرسول وفي ذلك قال صاحب الكشاف: "وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره وتنبئها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان"².

(يعني بذلك جل ثناؤه ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدوداً أي ظلموا أنفسهم باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم على كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها جاءوك يا محمد ... تائبين منيبين فسألوا الله أن يصفح لهم ... وسأل لهم الله رسوله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، لوجدوا الله تواباً رحيماً)³.

فكان تعظيم رسول الله جديراً بالقبول عند سبحانه ولهذا عدل بالأسلوب من الخطاب إلى الغيبة تفخيماً لشأن تلك الشفاعته وإيراداً لعلّة قبولها.

5 - سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

¹ - سورة النساء، الآية 64.

² - جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج2، المصدر السابق، ص 100.

³ - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل أي القرآن)، المصدر السابق، ج7، ص 199.

جاء في هذه السورة قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١﴾¹.

الالتفات في هذه الآية من صيغة الخطاب في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: (فليتوكل المؤمنون) يعني بذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يحذروه وأن لا يخالفوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه وإن فعلوا غير ذلك فسيستوجبوا منه العقاب الذي لا قبل لهم به، فالله يجب على المؤمنون أن يلقوا أزمة أمورهم ويستسلموا لقضائه ويتقوا بنصرته وعونه المقرون بوحدانيته سبحانه وتعالى ورسالة رسوله، لأن ذلك يعد من كمال دينهم وتام إيمانهم فإن فعلوا ذلك حفظهم ورعاهم ممن أراد لهم سوء ودافع عنهم.

فقد جاء الأمر بالتقوى أمر مواجهة مناسباً لقوله أذكروا وجاء الأمر بالتوكل أمر غائب لأجل الفاصلة وإشعاراً بالغلبة وإفادة لعموم وصف الإيمان أي لأجل تصديقه بالله ورسوله يؤمر بالتوكل كل مؤمن لابتداء الآية بمؤمنين على جهة الاختصاص وختمها بمؤمنين على جهة التقريب² فالثقة بالله تكسبنا ما نحب وعلى حسب إيمان العبد يكون توكله على الله من واجبات القلب المتفق عليها.

6 - سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أول مواضع الالتفات في هذه السورة المباركة في قوله تعالى: ﴿يَا هَلْ أَكْتَبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ

¹ - سورة المائدة، الآية 11.

² - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، المصدر السابق، ج8، ص 234.

وَنَذِيرٌ^١ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٩ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ ادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾^١.

موضع الإلتفات في هذه الآية في قوله تعالى: (يعرفونه) بصيغة الغيبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد مخاطبته في قوله تعالى: (قل) وكلن مقتضى السياق - يعرفونك- بدل (يعرفونه) ولكنه سبحانه آثر صيغة الغيبة لتناسبها مع أسلوب الحكاية التي تروى عبر القرون والأجيال نعيًا على أهل الكتاب الذين جحدوا معرفتهم له عليه أفضل الصلاة والتسليم رغم أنهم واثقون تماما أنه صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي بشر به عيسى وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ولكن الحسد الذي أعمى قلوبهم وملاً الدنيا أمام عيونهم فعموا وصمّوا ثم عموا وصمّوا وثم أنهم يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيها². لذلك كان من الضروري الانتقال من صيغة الخطاب إلى صيغة الغيبة وحدث في الكلام يعرفونه بدل يعرفونك أكسب هذا التناسب مع أسلوب الحكاية.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْفَآهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ٦١ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۚ لَا لَهُ الْحَكْمَ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾³.

الإلتفات في هذا الموضع في قوله تعالى: (ثم ردوا إلى الله) بصيغة الغيبة في: (ردوا) وكان مقتضى السياق -ثم رددتم- بنفس الصيغة التي وردت في قوله تعالى: (حتى إذا أحدكم) فعدوله عز وجل عن الخطاب إلى الغيبة في: (ردوا) إشارة إلى أن الرجوع إلى الله بالبعث حكم عام ينسحب فيه، المخاطبين وسواهم منذ خلق الله الخلق إلى أن تقوم

¹ - سورة الأنعام، الآيتين 19-20.

² - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ج3، ص 118.

³ - سورة الأنعام، الآية 61-62.

الساعة فلو أتى ضمير الخطاب في هذا الموضوع (ردوا) لا يقتصر حكم الرجوع على المخاطبين وهذا بخلاف الأصل قيل في هذا الشأن (والضمير راجع إلى أحد، لأنه في معنى الكل مع الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة: أي ردوا بعد الحشر إلى الله: أي إلى حكمه وجزاءه)¹ ثم أن المخاطبة كانت مناسبة مع المقام الأول (حتى إذا جاء أحدكم) فيه ذكر للموت وهذا شيء خاص بكل فرد أما البعث فهو كون عام على الجميع في الوقت نفسه زيادة على ذلك أن مواجهتهم بالموت في ذلك الخطاب أمر مطلوب لا بد منه لإيقاظهم من الغفلة وتهيئتهم للحظة الفراق.

ثانياً - الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة في الربع الثاني من القرآن الكريم:

1 - سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾².

¹ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير)، ط4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1428هـ - 2007م، ص 424.

² - سورة الأعراف، الآية 26.

الإلتفات في قوله تعالى: **(لعلهم يذكرون)** بصيغة الغيبة وذلك بعد ندائهم بقوله تعالى: **(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم)** وكان مقتضى السياق **(لعلكم تتذكرون)** بدل قوله تعالى: **(لعلهم يذكرون)** لقد جاء هذا المقطع من الآية الكريمة بصيغة الغيبة إشعاراً ببعده من لم يتذكر خير الله عليه والتفكر في آياته والوصول إلى طريق الحق بالاهتداء بقبس منها قال **الطبري** رحمة الله عليه: **(يقول تعالى ذكره: ذلك الذي ذكرت لكم أني أنزلته إليكم، أيها الناس من اللباس والرياش، من حجج الله وأدلتها التي يعلم بها من كفر صحة توحيد الله، وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة (لعلهم يذكرون)...** وجعلت ذلك دليلاً على ما وصفت، ليذكروا فيعتبروا أو ينيبوا إلى الحق وترك الباطل، رحمة مني بعبادي¹، معنى هذا أن **الطبري** بقوله هذا يقر لنا بالنعم التي أنعمها الله على عباده من اللباس والرياش لتبقى كحجج يستدل بها كل من حاول الكفر بصحة توحيد الله، فهذه أدلة من الله سبحانه وتعالى وغيرها جعلها عز وجل من أجل التذكر والاعتبار وترك الباطل، **"(لعلهم يذكرون)** فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح"² ولكنهم أوعز لهم الشيطان بأن يتجردوا من تقواهم وخشيتهم لربهم ومن لباسهم حتى أنهم طافوا بالبيت وهم عراة وزين لهم ذلك كما زين لأبويهم فببت لهما سواتهما وأخرجا من الجنة إلى دار البلية، وها هو اليوم يطوفون في العالم وهم أشباه عراة.

ومنه قال الله تعالى: **﴿وَقَطَّعْنَهُمْ أُنْثَىٰ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ أَنْ أُضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أُنْثَىٰ عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ**

¹ - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير العبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، المصدر السابق، ج12، ص 372.

² - أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج3، المرجع السابق، ص 222.

مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾¹.

الالتفات في قوله تعالى: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم في قوله: (كلوا من طيبات ما رزقناكم) وكان مقتضى الخطاب أن تكون الآية (وما ظلمتمونا ولكن كنتم لأنفسكم تظلمون) ولكن الغيبة أبلغ من عدة نواحي، منها أنه سبحانه أراد أن يشعرهم بفحش صنيعهم وعظم جرمهم وخاطبهم خطاب الغائب احتقاراً لهم ومذلة فأبعدهم عن شرف الخطاب المباشر الذي ظهر في مجال الإنعام عليهم ومنها أيضاً إرادة تعميم الحكم لكل ظالم مكاف إذا أقدم على المعصية فما أضر إلا نفسه حيث سعى في سيرورة نفسه مستحقة للعقاب العظيم² ويتحاشى سبحانه إسناد هذا الفرد من الأفراد أو جماعة من الجماعات وإنما يجعله حكماً عاماً لتؤخذ منه الموعظة فيحذر المؤمنون من الوقوع فيه ولهذا جاء هذا الالتفات.

2- سورة الأنفال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾³.

¹ - سورة الأعراف، الآية 160.

² - محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، المرجع السابق، ج15، ص 37.

³ - سورة الأنفال، الآية 1.

موضع الالتفات في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: (والرسول) بصيغة الغيبة بعد مخاطبته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (يسئلونك عن الأنفال قل) وكان مقتضى هذا الخطاب -قل الأنفال لي ولك- بدل قول تعالى: (قل الأنفال لله والرسول) قال في تفسيرها ابن جرير الطبري: (يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر لمن هو؟ قل لهم يا محمد هو الله ولسوله دونكم يجعله حيث يشاء)¹ ذلك لأن المسلمين كان لهم اختلاف في تقسيم غنائم بدر فسألوا الرسول عن كيفية تقسيمها ولمن هي؟ فكان الجواب: (قل الأنفال لله والرسول) أي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جواب له² ومن هذا التفسير تبين معنى الآية المباركة.

لقد أظهر المولى في هذا المقام الحاسم لفظ الجلالة لإظهار علة التسليم التام له سبحانه وهذا نفسه ما دعا إلى ظهور كلمة (الرسول) بصيغة الغيبة بدل ضمير الخطاب وذلك بالاستسلام التام لمن شأنه معكم أنه رسول من قبل الله ذي الجلال والإكرام وهذا ما يصدق سبب نزول الآية³. وهذا يعني أنه بذكر لفظ الجلالة (الله) في أية آية يوحي بالخضوع والاستسلام التام له سبحانه والتقيد بأمره نفس الشيء بالنسبة لذكر كلمة (الرسول) وهذا من أمر الله عز وجل.

¹ - أبي جعفر محمد جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ج12، المرجع السابق، ص 367.

² - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ج4، ص 2.

³ - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، المصدر نفسه، (ص ن).

ومنه قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٣ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ٤﴾¹.

الالتفات جاء في قوله تعالى: (وإن للكافرين) بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى: (ذلكم فذوقوه) وكان مقتضى السياق أن لكم عذاب النار ولكنه سبحانه عدل عن مخاطبتهم إلى الغيبة زيادة في تحقيرهم وإيذاناً لظهور وصفهم بالكفر (فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلاً مع أن لكم عذاب النار آجلاً فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به)² وإرادة التعميم هذه أي أن لكل كافر عذاب النار عاجلاً أم آجلاً.

3 - سورة التوبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ٢﴾³.

موضع الالتفات في قوله تعالى: (وأن الله مخزي الكافرين) في (الكافرين) بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم بقوله: (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله) وكان مقتضى السياق - أن الله مخزيكم - باستمرار الخطاب ولكن الغيبة هي الأبلغ لظهور كلمة (الكافرين) وما تحمله من تعليل شاف لخزيهم، عن ابن عباس قال: (حد الله الذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر، يسيحون في الأرض حيث شاؤوا، وأجل أجل من ليس له عهد، انسلاخ الأشهر الحرم، من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، فذلك خمسون ليلة، فأمر

¹ سورة الأنفال، الآية 13-14.

² - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج4، المرجع السابق، ص 11.

³ - سورة التوبة، الآية 2.

الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد بقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشرٍ حَلَوْنَ من ربيع الآخر، أن يصنع فيهم السيف، حتى يدخلوا في الإسلام¹. ومعنى ذلك أن الله سبحانه أمر المشركين بالسياسة في الأرض والذهاب إلى حيث يريدون، فالذين كان لهم عهد مع الرسول أمهلهم أربعة أشهر فأما الذين لم يكن لهم عهد معه، أجله انسلخ الأشهر الحرم، وهي خمسون يوماً، وأمر عز وجل نبيه بأن يضع السيف في الذي لم يكن بينه وبينه عهد بقتلهم، ومن كان له عهد أمهلهم حتى تتسلخ أربعة أشهر فإذا انقضت تلك المدة أمره بأن يضع فيهم السيف حتى يدخلوا في الإسلام كل من كان بين الرسول عهد أو لم يكن بينه ذلك. وقال فيها أبو السعود: (أي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالعذاب وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالإشراك والإشعار بأن علة الإخزاء هي كفرهم ويجوز أن يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبين دخولاً أولياً)².

ومنه قول الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٨٠﴾³.

الالتفات في قوله تعالى: (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) في كلمة (رسول) التي أتت بصيغة الغيبة بعد مخاطبته عليه أفضل الصلاة والسلام في قوله تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم)، وكان مقتضى هذا السياق (ذلك بأنهم كفروا بالله وبك) بدل (بالله ورسوله) وفي هذا الالتفات غرض بلاغي عظيم ذلك أن الله عز وجل أخبر نبيه بأمر قد

¹ - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد للسلاطة (ط1)، دار طيبة، الرياض، السعودية، (1418هـ - 1997م)، (1420هـ - 1999م)، ج4، ص 102.

² - أبي السعود محمد بن محمد العمادي، فسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج4، المرجع السابق، ص 41.

³ - سورة التوبة، الآية 80.

يحزنه لأنه الحريص على هداية الناس جميعا (فبيّن أن العلة التي لأجلها لا ينفعم استغفار الرسول لهم، وإن بلغ سبعين مرة، هي كفرهم وفسقهم، وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين، فصار هذا القليل شاهد بأن المراد إزالة الطمع أن ينفعم استغفار الرسول مع إصرارهم على كفرهم، ويؤكد: (والله لا يهدي القوم الفاسقين))¹. فالله تعالى بين لنا بأن الكافرين بسبب كفرهم وطمعهم وفسقهم لا يمكن الاستغفار لهم ولو بلغوا سبعين مرة. (فالكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل مادام كافرا)²، فالاستغفار للكافر يغريه بالإقدام على الذنوب والمعاصي.

4- سورة يونس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما جاء من المخاطب إلى الغائب في هذه السورة المباركة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۚ ۱ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بَقْرَةٌ أَوْ بَدِّلُ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فُلٌّ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ۚ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ ۱﴾³.

الالتفات في هذا الموضع في قوله تعالى: (إذا تتلى عليهم آياتنا) بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم في قوله تعالى: (ثم جعلناكم خلائف في الأرض) وكان مقتضى السياق -إذا تتلى عليكم- باستمرار الخطاب تمشيا مع سابقه ولكن العدول إلى الغيبة حقق غرضا بلاغيا دقيقا واضحا قيل فيه: (الالتفات من خطابهم إلى الغيبة إعراضاً عنهم وتوجيهها للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جنایاتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من

¹ - محمد بن يوسف الشهير بأن حيّان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المرجع السابق، ج5، ص 47.

² - عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تسيير الكرم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: سعد بن فواز الصميل، ط1، دار بن الجوزي، جدة، المملكة العربية السعودية، ربيع الثاني 1422هـ، المجلد الأول (1-2)، ص 672.

³ - سورة يونس، الآية 14-15.

القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآن على حسب تجدد التلاوة (آياتنا) الدالة على حقبة التوحيد)¹ فالآيات البينة دلالة على الصدق التي جاءت بها رسلمهم، فلا مجال للتكذيب والكفر بالآيات. وهذا إخبار من الله تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحق المعرضين عنه، أنهم إذا قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وحججه قالوا له: (إئت بقرآن غير هذا) أي: ردّ هذا وجئنا بغيره من نمط آخر، أو بدله إلى وضع آخر². ولهذا الجرم والتعنت استحقوا من الحق عز وجل ذلك البعد والإقلاء وتحول الخطاب منهم إلى سيد المخاطبين محمد صلى الله عليه وسلم ليروي جرمهم هذا إلى الناس أجمعين.

ومنه قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُهُ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا مَّأَدًا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾³. الإلتفات في قوله تعالى: (ماذا يستعجل منه المجرمون) بصيغة الغيبة عن المجرمين وذلك بعد مخاطبتهم في أول جملة القول: (أرءيتكم إن أتاكم) وكان مقتضى الظاهر -ماذا تستعجلون منه- باستمرار المخاطبة ولكنه سبحانه أعرض عنهم وجعلهم في عداد الغائبين لأمر منها: قال الزمخشري: (فإن قلت: فهلا قيل: ماذا تستعجلون منه؟ قلت أريد الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجماع، لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه، ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ، فضلا أن يستعجله)، ويقصد بهذا الإلتفات تنديمهم على استعجالهم لما عساه هالكهم فستندمون فإن أبطأ يكون ذلك الأفضل

¹ - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج4، المرجع السابق، ص 128.

² - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج4، المصدر السابق، ص 253.

³ - سورة يونس، الآية 50.

لهم، (والمعنى تتدموا على الاستعجال أم تعرفون الخطأ منكم فيه)¹ وحاجة المعنى إلى كلمة (مجرمون) نقلت الكلام من صيغة الخطاب إلى صيغة الغيبة لما ذكرناه.

5- سورة هود:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾².

الإلتفات في قوله تعالى: (وإن تولوا) بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى: (وإن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتنعكم) بصيغة المخاطبة وكان حق هذه المخاطبة - وإن تتولوا- ولكنه سبحانه صرفها عنهم عند توليهم وغياب ضمائرهم وبعدهم عن الحق إلى الضلال قال ابن عطية: " (وإن تولوا) بفتح التاء واللام، فبعضهم قال الغيبة، أي فقل لهم: إني أخاف عليكم وقال بعضهم معناه فإن تتولوا فحذفت التاء والآية كلها على مخاطبة الحاضر"³، فأسلوب الإلتفات عاد من الغيبة إلى المخاطبة لأنها الأنسب في مجال النصيح والحرص على ما ينجيهم من عذاب يوم كبير قال فيه ابن جرير الطبري: (يقول تعالى ذكره وإن أعرضوا عما دعوتهم، إليه من إخلاص العبادة، لله وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا عن الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مولين عن ذلك فإني، أيها، القوم (أخاف عليكم عذاب يوم كبير) شأنه عظيم هوله، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون، وقال جل ثناؤه وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ولكنه مما قد تقدمه قول والعرب إذا قدمت

¹ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدرابة من علم التفسير)، المرجع السابق، ص 628.

² - سورة هود، الآية 3.

³ - أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في (تفسير الكتاب العزيز)، المصدر السابق، ج3، ص 150.

قبل الكلام، خاطبت، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب، ثم رجعت بعد الخطاب¹ وهذا التلويح في الخطاب يستهدف بلا شك أغراضا بلاغية لا معنى أي كلام إلا بتحقيق هذه الأغراض ولهذا كان الإلتفات إلى الغيبة أبلغ في هذا المقام.

ومنه في نفس السورة المباركة قول الله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾².

الإلتفات فيقول الله تعالى: (ألا إنهم ينتون صدورهم) بصيغة الغيبة وذلك بعد الخطاب السابق في قوله تعالى: (إلى الله مرجعكم) وكان مقتضى السياق -ألا إنكم تنتون- والخبر هذا يتعلق بمشركي مكة فأعرض عنهم المولى جل ثناؤه بعد أن خاطبهم لإعراضهم فإنهم (يزورون عن الحق وينحرفون عنه، لأن من أقبل عن الشيء استقبله بصدرة، ومن أزر عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه)³ واستحق لهذا لصنيع إعراض الله جل جلاله عنه لما في نفسه، كما روى عن ابن عباس (من الشك في الله وعمل السيئات)⁴ وهذا ما سبب في شدة غضب الله عز وجل عليهم، لذا كان من اللازم بتغيير الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة.

6- سورة الرعد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

¹ - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ج12، المصدر السابق، ص 232.

² - سورة هود، الآيتين 4-5.

³ - جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري، الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل)، المصدر السابق، ص 183.

⁴ - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج4، المصدر السابق، ص 305.

مما جاء من الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة في سورة الرعد قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ ۚ ۱۲ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۚ ۱۳﴾¹.

الإلتفات في قوله تعالى: (وهم يجادلون في الله) بصيغة الغيبة عنهم وذلك بعد أسلوب الخطاب المباشر الذي سبق في قوله تعالى: (وهو الذي يريكم) في (يريكم) وكان مقتضى السياق - وأنتم تجادلون - قال أبو السعود: (وهم أي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى: (هو الذي يريكم البرق) وقد التفت إلى الغيبة إيدانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضا عنهم وتعديدا لخباياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قبل هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إرادة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته وهم أي الكفرة الذين حكيت هنتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم)²، سبحانه وتعالى يخاطب الكافرين ويبين لهم قدرته على كل شيء وقد حاول في هذه الآية تقديم الخوف على الطمع ذلك لأن الخوف يتعلق بالنفس أما الطمع فهو تقريبا خاص بالرزق وأن الخائف منه غير الطامع فيه. "يجادلون في الله) أي يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو (وهو شديد المحال)"³ وجزاء كل من يشك في قدرة الله وعظمته العقاب منه سبحانه وتعالى.

7- سورة إبراهيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

¹ - سورة الرعد، الآية 12-13.

² - أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المرجع السابق، ج5، ص 10.

³ - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج4، المصدر السابق، ص 445.

ومنه في هذه السورة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾¹.

الالتفات في قوله تعالى: (وما يخفى على الله من شيء) في لفظ الجلالة وذلك بعد مخاطبته سبحانه في (ربنا إنك) وكان مقتضى السياق -وما يخفى عليك من شيء- ولكن الالتفات إلى الغيبة أبلغ لحاجة المعنى إلى لفظ الجلالة فقد علت نفس سيدنا إبراهيم عليه السلام وارتفعت إلى آفاق السماء وعلم أن الذي يناجيه بهذا الدعاء ويتضرع إليه إنما هو الله الذي لا يخفى عليه من شيء في الأرض ولا في السماء فقد كان الالتفات من الخطاب إلى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والإشعار بعلّة الحكم على نهج قوله تعالى: (ألا يعلم ومن خلق وهو اللطيف الخبير) والإيدان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل² ليدل سبحانه على عظمته وكبريائه وإحاطته بكافة الأمور ولهذا جاء الالتفات والعلم لله.

8- سورة الحجر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومنه قول الله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾³ ٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ٤٧﴾³.

الالتفات جاء في قوله تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم) بصيغة الغيبة في (صدورهم) وهذا بعد مخاطبتهم في (ادخلوها) بصيغة الأمر⁴ وكان مقتضى السياق -ونزعنا ما في

1 - سورة إبراهيم، الآية 38.

2 - أبي السعود محمد بن العمادى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج5، المرجع السابق، ص 53.

3 - سورة الحجر، الآية 46-47.

4 - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج5، المرجع السابق، ص 80.

صدورهم- أو بسياق آخر -وننزع ما في صدوركم- ولكنه سبحانه أتى بصيغة الغيبة إشارة إلى كل متق على مر الزمان، (ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ) أي تبقى قلوبهم سالمة من كل غلٍّ وحسد متصافية مُتَحَابَّة¹.

فقد جعل المولى عز وجل أمر هذا النزاع ثابت التحقيق باستخدام صيغة الغيبة والفعل الماضي وكأن شيء قد انقضى وأصبح حكاية تروى، وهذا الأسلوب أحد أساليب التأكيد في القرآن الكريم.

9- سورة النحل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مما جاء من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥ وَعَلَّمْتَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾².

الالتفات في قوله تعالى: (وبالنجم هم يهتدون) بصيغة الغيبة بعد صيغة المخاطبة في قوله تعالى: (لعلكم تهتدون)، قال ابن كثير: " (وبالنجم هم يهتدون) أي: في ظلام الليل، قال ابن عباس وعن مالك يقول: النجوم وهي الجبال³ وفائدة تحول الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة للتأكيد على قريش فهم المعنيون بضمير (هم) فقد كان لهم جولات في هذا المجال لكثرة سفرياتهم في طلب التجارة (فكان لهم بذلك علم لم يكن لغيرهم لذا كان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم)⁴ ولكنهم جحدوا الحق الذي يعلمونه فاستحقوا الجفوة ولإبعاد وذكر صنيعهم هذا على سبيل الحكاية ليتعظ به المتعظون بالقرآن، كقوله تعالى:

¹ - عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تسيير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 863.

² - سورة النحل، الآيتين 15-16.

³ - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تسيير القرآن الكريم، ج4، المصدر السابق، ص 564.

⁴ - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المصدر السابق، ج6، ص

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۗ﴾¹ وهكذا هو القرآن بلمحة عابرة وقصيرة يحقق أبعاد وأبعاد تصل إلى أعماق النفس الواعية لترشدها على طريق الحق والصواب وتبعدها عن الضلال والله لطيف خبير.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾².

الالتفات في قوله تعالى: (أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) بصيغة الغيبة عن هؤلاء الكافرون وذلك بعد صيغة الخطاب في قوله تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم) لقد خاطبهم الله عز وجل جلاله في مجال النعم خطابا مباشرا (ثم قال تعالى منكرا على من أشرك في عبادة المنعم غيره: (أفبالباطل يؤمنون) وهم: الأضام والأنداد، (وبنعمت الله هم يكفرون) أي: يسرون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره، وفي الحديث الصحيح: (إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ممتا عليه: ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟)³ أي أن هؤلاء الأصنام والأنداد يتبعون ويؤمنون لكل ما حرمه عز وجل ويكفرون بكل ما حلله سبحانه وتعالى للعالمين.

"والالتفات إلى الغيبة للإيدان باستيجاب حالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجيباً لهم مما فعلوه"⁴ فهم بهذا دون منزلة الخطاب لذا جاء الالتفات لما سلف.

10 - سورة الإسراء:

¹ - سورة ق، الآية 45.

² - سورة النحل، الآية 72.

³ - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن الكريم، ج4، المصدر السابق، ص 587-588.

⁴ - أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج5، المرجع السابق، ص 128.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومما جاء في سورة الإسراء من الإلتفات من المخاطب إلى الغائب قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ٤١﴾¹.

الإلتفات في قوله تعالى: (ليذكروا وما يزيدهم) بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب في قوله تعالى: (أفأصفاكم ربكم بالبنين) ردا على المشركين الكاذبين الزاعمين - عليهم لعائن الله - أن الملائكة بنات الله، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الله الرحمان إناثا، ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدوهم فأخطؤوا في كل من المقامات الثلاث خطأ عظيما² ولهذا أعرض عنهم المولى العليم الحكيم وجعلهم غيبا وقوله تعالى (ليذكروا) ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والإلتفات إلى الغيبة للإيدان باقتضاء الحال أن يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم وقرئ بالتحقيق من الذكر بمعنى التذكر³ (وما يزيدهم) هذا التذكّر للقرآن وما فيه من آيات (إلا نفورا) وهو (النفور) (عبارة عن شدة الإعراض تشبيها بنفور الدابة)⁴، وهكذا هم بل أشدّ ضلالاً وتحيراً.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ٦٧﴾⁵.

1 - سورة الإسراء، الآية 40-41.

2 - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ج5، ص 77.

3 - أبي السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج5، المرجع السابق، ص 174.

4 - أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في (تفسير الكتاب العزيز)، المصدر السابق، ج3، ص 458.

5 - سورة الإسراء، الآية 67.

الالتفات في قوله تعالى: (وكان الإنسان كفورا) بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب في قوله تعالى: (إذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون) (ذكر - سبحانه - حالهم إذا كشف عنهم من إعراضهم عنه وكفرانهم نعمة إنجائهم من الغرق، وجاءت صفة - كفورا - دلالة على المبالغة، ثم لم يخاطبهم بذلك بل أسند ذلك إلى الإنسان لطفًا بهم وإحالة على الجنس إذ كل أحد لا يكاد يؤدي شكر نعم الله)¹ هذا هو حال الكفار دائما ينكرون نعم الله ومعروفهم عليهم من جميع النواحي. (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) عن التوحيد أو اتسعتم في كفران النعمة (وكان الإنسان كفورا) تعليل لما سبق من (الإعراض)² ودليل على الإنسان قليل الحمد والشكر وشاكرًا لفضل الله عز وجل.

11- سورة الكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومما جاء من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ٥٠﴾³.

الالتفات في قوله تعالى: (بئس للظالمين بدلا) بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم بقوله تعالى: (أفتتخذونه) وكذا (لكم عدو)، قال فيه أبي السعود (وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الإيذان بكمال السخط والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى)⁴ فالبعد عن طريق الشيطان وأوامره نكون في طريق الصواب (بئس للظالمين بدلا) أي (الواضعين للشيء في غير موضعه المستبدلين بطاعة ربهم طاعة

¹ - محمد بن يوسف الشهير بأن حياة الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المرجع السابق، ج7، ص 82.

² - أبي السعود محمد بن محمد العمارة، تفسير أبي السعود، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج5، المرجع السابق، ص 185.

³ - سورة الكهف، الآية 50.

⁴ - أبي السعود محمد بن محمد العمارة، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ج5، المرجع السابق، ص 228.

الشیطان فبئس ذلك البذل الذي استبدلوه بدلاً عن الله سبحانه¹ فجزاء كل من الله عز وجل بديل له نار جهنم تأويه وینال عدم رضاه تعالى إلى الأبد.

من خلال ما سبق، وبعد الدراسة لبعض آیات القرآن الكريم، قد ورد الكثير من الأمثلة على هذه الصورة، تناولنا شرح ودراسة لبعض منها، وإن التأمل في نماذج صورة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة يلتبس خصوصية وميزة يمتاز بها هذا النوع عن سابقه، تكمن في أغراض دينية هادفة ومنها تعظيم شأن المخاطب.

¹ - محمد بم علي محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، المصدر السابق، ص 864.

خاتمة

خاتمة:

في الأخير كنتائج لهذا العرض البسيط، يمكن القول أن:

- أبرز ما يميز النص من اللانص هو ذلك التماسك الشديد بين أجزائه حتى يبدو كقطعة واحدة متناسقة الأجزاء.
- التماسك النصي عنصر أصيل في الدراسات العربية القديمة، وذلك من خلال تلك الدراسات الجادة لنص القرآن الكريم، حيث أن دراسات المصنفين في علوم القرآن تعتبر من أهم الدراسات المهمة بالتماسك النصي.
- التماسك النصي لا يتحقق إلا من خلال مجموعة من الأدوات والتي تعتبر شرطاً ضرورياً لنصية النص.
- لذلك يجب استغلال هذه الأدوات عند إنتاج وبناء النصوص، ووضع هذه الأدوات نصب عين المحلل بصفة خاصة، والطالب بصفة عامة، لأن تحليل الجملة المعزولة عن النص يجد قصوراً في فهم المحلل.
- للإلتفات أهمية كبيرة في أي نص، لأنه يزيد النص رونقاً وجمالاً، فهو ينقلك من أسلوب إلى أسلوب آخر.
- الإلتفات كمصطلح لقي اضطراباً في بدايته، لكن فيما بعد تحدد مصطلحه، وسار بقية رحلته مع البلاغيين متنقلاً من عالم إلى عالم، حتى وصل إلى السكاكي الذي كان له الفضل في تحديده في ست صور، فكل صورة تمتاز بجمال وروعة، وتأثير في الأسلوب وتوضيح للصورة.
- إن المتأمل في نماذج صور الإلتفات (من الغيبة إلى الخطاب) و(من الخطاب إلى الغيبة) في القرآن الكريم يتلمس خصوصية، وميزة في التنوع، فتارة يكون الإلتفات لأغراض بلاغية، وتارة يكون لأغراض دينية بُغية التربية والهداية، واستقامة السلوك.

- على الباحث الوقوف وقفة مخصصة على جميع صور الالتفات لاستخراجها وتبيان روائعها البلاغية.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

A decorative border with floral and ribbon motifs in the corners, surrounding the central text.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

أ / المصادر:

1. أسامة ابن منقذ ، البديع في نقد الشعر، (د.ط)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، (د.ت).
2. جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف (عن حقائق، غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل)، تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيطان، الرياض، السعودية (1418هـ، 1998م)، ج1.
3. جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون سود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ج2.
4. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، مصر، (1422هـ، 2001م)، ج8.
5. أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز (في تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار العلمية، بيروت، لبنان، (1422هـ / 2001م)، ج3.
6. عبد الله بن المعتز، البديع، تحقيق وتعليق: إغناطيوس كراتشكوفسكي، ط3، دار المسيرة، بيروت، لبنان، (1402هـ / 1982م).

7. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر (في أدب الكاتب والشاعر)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبعوي طبانة، ط2، دار النهضة، مصر، (د.ت)، ج2.
8. أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (ط1)، دار طيبة، الرياض، السعودية، (1418هـ، 1997م)، ج4.
9. أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (ط2)، دار طيبة، الرياض، السعودية، (1420هـ، 1999م)، ج4.
10. أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط1، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (1400هـ/1988م)، ج1.
11. أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري، مجاز القرآن، (د.ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ت)، ج5.

ب / المراجع:

12. ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، (د.ط)، نهضة مصر، (د.ت)
13. إبراهيم الفقي صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ج1.
14. الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993م.
15. جون بول بروان، جورج يول، تحليل الخطاب، ط1، دار النشر العلمي والمطابع، الرياض، السعودية، 1997م.
16. أبي الهلال العسكري، كتاب الصناعاتيين (الكتابة والشعر)، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (1371هـ/1952م).

17. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، طبعة جديدة، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج2.
18. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، ط4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (1428هـ/2007م).
19. محمد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة، (د.ط)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، (1403هـ/1984م).
20. محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج3.
21. محمد فخر الدين الرازي، تفسير فخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1401هـ/1981م)، ج14.
22. محمد الخطابي، لسانيات النص، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991م.
23. مصطفى صادق الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1393هـ/1973م).
24. أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج1.
25. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، دار ابن الجوزي، جدة، المملكة العربية السعودية، ربيع الثاني 1422هـ، المجلد 1.
26. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، دار ابن الجوزي، جدة، المملكة العربية السعودية، ربيع الثاني 1422هـ، المجلد 2.
27. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1997م.
28. عبد القاهر الجرجاني، دلال الإعجاز، ط1، مكتبة القاهرة، مصر، 1983م.

29. أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (1418هـ / 1998م)، ج1.

30. أبي الفرج قدامة بن جعفر، نقر الشعر، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1302م.

31. فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، (د.ط)، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1992م.

32. أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسري القرآن العظيم والسبع المثاني، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج3.

33. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1419هـ / 1998م).

34. روبرت دي بوجرند، النص والخطاب والإجراءات، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999م.

35. الخوالدة فتحي رزق، تحليل الخطاب الشعري (ثنائية الاتساق والانسجام)، ط1، دار عمان، (د.ت).

36. خليل البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، دار جرير، عمان، 2009م.

ج / المعاجم والقواميس:

37. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج14، ج3، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان.

38. أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ج5.

د / المذكرات:

39. إسماعيل الحاج عبد القادر سيركز، تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم ومقاصده البلاغية والإعجازية، البحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية العربية، جمهورية السودان، (1428هـ/2008م).
40. ناصر محمود صالح النواصرة، التماسك النصي بين النظرية (سورة الأنعام أنموذجاً)، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، الأردن، (1430هـ/2009م).
41. فوزية عبد الله علي خريشة، التماسك والانسجام عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، الأردن، 1433هـ/2012م.

هـ / المجالات:

42. مصلوح سعد، نحو آجرومية للنص الشعري (دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول، عدد (1-2)، مصر، (1991م).

الملخص باللغة العربية:

تعتبر البلاغة من أهم علوم اللغة العربية ، فهي سبيل من سبل فهم كتاب الله عز و جل و إبراز أسراره البيانية و أحكامه الشرعية . لقد اهتم علماء العرب قديما و خاصة منهم المصنفين في علوم القرآن و بلاغته بدراسة النص القرآني، باعتباره نصا يفيض بلاغة عجز العرب عن الإتيان بمثها، أو محاكاتها ، فكان هذا الاهتمام أرضا خصبة نما فيها درس اللغوي، فانصبت جهود العلماء على إبراز كل الظواهر اللغوية و العلاقات المنطقية التي تحكم هذا النص.

و لعل من أنواع الإعجاز القرآني (التماسك و الالتفات) ، ففي بحثنا هذا تطرقنا في الفصل الأول إلى مفهوم الالتفات و أهم صور و أهميته ، بالإضافة إلى مفهوم التماسك النصي و مستوياته و أهميته، باعتبار أن النص هو عند علماء البلاغة تماسك.

أما الفصل الثاني و الثالث فجعلناهما تطبيق لصورتين من صور الالتفات ألا و هما: (من الغيبة إلى الخطاب) و (من الخطاب إلى الغيبة) على بعض آيات القرآن الكريم ، محاولين بذلك تبيان أهمية الالتفات في هذه الآيات.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب ، الالتفات ، التماسك ، الدلالة ، النص.

Summary in English :

Arabic rhetoric is one of the most important sciences of Arabic language, because it is the way to learn the book of God and to highlight its graphic secrets and its legitimate rulings. Ancient Arab scholars, especially those classified in the sciences of the Qur'an and its rhetoric, were interested in studying the Qur'anic text as a text that sheds the eloquence of the inability of the Arabs to produce their ideals or simulations. This interest was fertile ground, including the linguistic lesson. So the text.

In this research, we discussed in the first chapter the concept of textual cohesion, its levels and importance, since the text is in the minds of scholars of rhetoric cohesion, each sentence has a form of coherence with the sentence that was accepted directly, and also touched on the concept of attention language The term and the most important image and importance, this term, which was disturbed in the beginnings where scientists used it in its meaning without being called the word of attention, the father of to him in the sense of toad (from - and) without mentioning the term. But al was one of the first to mention the term. Scientists agreed with the beginning of the sixth century AH that the attention is the transfer of speech from the story, speech, and absenteeism, three of which moves each one to the other. As for the second and third chapters, we have applied it to the application of two forms, try to show the importance of paying attention to these verses. Contribution to text